الصِّيام في الإسْلام

تأليف

محمّد محمُود الصَّوّاف

الصِّيام في الإسْلام

تأليف

محمّد محمُود الصّوّاف

الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى :

أولئك السعداء من الناس . الذين أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيما ، وهم المتوجون بصفات الكمال الانساني أعلام الهداية ، وزينة الوجود ، ونجوم الآخرة . الدرر الغوالي في العهود الحاضرة والغابرة ، وهم الذين قال الله فيهم :

« ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات، أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً » .

(سورة الأحزاب)

إلى :

هؤلاء الأتقياء السعداء من الرجال والنساء ، أهدي هذا الكتاب ، راجياً من الله أن يجعلنا منهم وأن يتقبل منا أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ، إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

محمد محمود الصواف
مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وإمام المجاهدين سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد : فهذه الطبعة الرابعة من كتاب «الصيام في الاسلام» أقدمها للقراء بالفخر والشكر .. ونفاذ الكتاب في طبعاته الثلاث، دليل على رضا الناس عليه، وهذا ما تصبو اليه نفوس الكثيرين من المؤلفين ، ولكن الغاية العليا والهدف الأسمى الذي أسعى اليه هو رضاء الله عز وجل،ورضاء الله لا يتحقق إلا بالنية الخالصة والعمل المجرد المقصود به وجه الله تبارك وتعالى ، وعسى الله أن يجعلنا من أولئك الصادقين الذين يعملون لربهم بصمت ويقين . ويوفقنا لنيل رضاه في الدنيا والآخرة انه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين .

محمد محمود الصواف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله شرع الدين هداية للمؤمنين ، وأذاق الطائعين حلاوة الطاعة واليقين ، وجعل السعادة للصائمين القائمين الخاشعين . أحمده من إله عظيم ، خلق الانسان وعلمه البيان ، وجعل العلم نوراً للبصائر ، وطهارة للنفوس ، وطريقاً إلى الحق ، وهادياً الى الجنة .

أشهد أنه تعالى الإله الواحد الجبار ، وأشهد أن محمداً رسول الله إمام المتقين ، وهادي العالمين ، الذي بيّن معالم الدين ، وهدانا إلى الصراط المستقيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الراكعين الساجدين ، الصائمين القائمين ، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ، أما بعد :

فهذا كتاب « الصيام في الاسلام » أقدمه بين يدي القراء الأماثل ليتفقهوا في الدين ، ويعبدوا الله على علم ، ويكونوا على

بصيرة في شؤون هذا الدين ، الذي جهل اكثر المسلمين أحكامه وأركانه وضرب بينهم وبينه بحجاب أي حجاب .

والمسلمون اليوم في حاجة ملحة إلى تمزيق حجاب الجهل بالدين الصحيح ، ليكشفوا عن كنوز ثمينة ، دفنتها الأيادي الخبيثة ، وغطت جواهرها ولآلئها عن الانظار واشغلت أفكار المسلمين بكثير من البدع والخرافات التي لا تمت إلى الدين بصلة . ومن جهة أخرى فقد ألهت طلاب وطالبات المدارس والمعاهد بكثير من العلوم التي لا تتصل بحياتهم بسبب ، يودِّعونها وكتبها يوم يودِّعون معاهدهم الى غير رجعة .

أما علوم الدين التى تتصل بحياة الانسان ، وتصاحبه وتسير معه جنباً إلى جنب منذ ولادته حتى يودع في رمسه فتلك لا ندرسها ، ولا نتفقه فيها . والأنكى من ذلك أن يلقى في روع شبابنا أنها مضى عهدها وانقضى ، أو أنها تؤدي إلى تفرقة ــ كذا ــ الامة الواحدة .

وفي الحق والواقع أن الدين هو الذي يجمع الكلمة ، ويوحِّد الصفوف ويربي الجيل الصالح ، وينفخ فيه روح الرجولة

والبطولة ، والتضحية والكفاح، فهو طب النفوس وحياتها ، فيه تسعد الأمة وتحيا حياة العزة والفضيلة والكرامة .

فمن أراد نيل السعادتين فعليه بالتفقه في الدين، والعمل بما يعلم ، والعبادة على غير علم ، تكون كالبناء على غير أساس . فيما يروى عن الامام عمر بن عبد العزيز رحمه الله (من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح) .

ومن سعادة المرء أن يكون على علم في أمور دينه ؛ ففي الحديث الشريف أن النبي صلى‌الله عليه وسلم قال : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) .

فيا حملة الشهادات ، ويا طلبة المدارس ، لا تظنوا أن العلم ما تعلمناه في المدارس فقط ، فما ذلك إلا بعض من كل ، وقليل من كثير .

والعلم النافع لكم هو ما نبع من عيون الشريعة الصافية وهو عذب فرات ، فاشربوا من حياضه الفياضة ، ترووا وتسعدوا وتفلحوا .

واقصدوا معينه العذب من كتاب الله العظيم (القرآن)

وسنة رسول الله سيد المصلحين ، وإمام العالمين عليه أفضل الصلاة والتسليم ، ترشدوا وتعزوا وتمجدوا أيما تمجيد .

ورغبتي في أن يتوجه شبابنا صوب الثقافة الدينية، وينضووا تحت لواء الشريعة الخالدة ، التي خلدت ذكرى الآباء والأجداد ، شريعة الاسلام البيضاء الناصعة ، وأن يتفقه الصائمون في أحكام الصيام ويعلم غير الصائمين أهمية الصيام في حياة الانسان الصحية والنفسية ، والروحية ، وحكم تاركه في الاسلام ونوع عقوبته في الآخرة ، هذه الرغبة ورغبة سادة نُجُب طلبوا إلي أن أؤلف في الصيام شيئاً كما ألّفت في الصلاة.

هذه الرغبات المجتمعة دفعتني لتأليف كتيبي هذا ، رجاء أن ينتفع به الناس ، وإن أك قد أصبت فيه فذلك بفضل الله ومعونته وتوفيقه وتسديده ، وإن أخطأت في شيء منه فمن نفسي وتقصيري وأرجو الله أن يغفر لي خطئي وعمدي ويعفو عن تقصيري .

وأخيراً أسأل الله العلي الكبير أن يجعل عملي كله ، دقه

وجله ، خالصاً لوجهه تعالى ، وأن يجزيني على حسب نيتي (فانما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى) وأن يشملني والمسلمين برحمته ولطفه وكرمه ، وأن يهيء لنا من أمرنا رشدا ويهدينا إلى سواء السبيل ، ويتولانا بنصره وتأييده وتسديده وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل .

محمد محمود الصواف

الصوم في الاسلام

وآثاره النفسية ، والروحية ، والصحية

(وحكم تاركه)

فرض الله الصيام على المسلمين في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، ليكون حصناً للمخلصين وأماناً للمتقين ، من شر النفوس التي قد تجمح بهم عن الطريق السوي ، وتنزع بهم الى ما طبعت عليه من الأمر بالسوء ، والصد عن المعروف والاحسان .

قال الله تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات) .

فغرض الصيام إنما هو لتقوى الله عز وجل في أيام معدودات هي أيام رمضان وشهره المبارك.

آثار الصوم النفسية

ولا بد من تأثير هذه الأيام في أنفس الصائمين ، فلا يتركهم الشهر إلا بعد أن

يربي ويغذي فيهم الفضائل ، ويضبط نفوسهم ، ويقوي عزائمهم ، وينقي اجسامهم من الفضلات الرديئة ، ويكبح جماح نفوسهم ، ويصدهم عن الفحشاء والمنكر .

إذ أن المسلم الذي يمتنع عن أكل الحلال من الغذاء مع العلم بأن الغذاء لا يستغني عنه انسان ، ومع هذا فهو يتركه مرضاة لله سبحانه وتعالى ، وخوفاً من أليم عذابه ، وطمعاً في عظيم رحمته . فأولى بهذا الانسان أن يمتنع عن اقتراف الحرام وهو في غنى عنه .

فلا يكذب الصائم ولا يغدر ولا يخون ، ولا ينقض عهداً ، ولا يخلف وعداً ، ولا يرائي ، ولا يداجي ، ولا يطعن ولا يلعن ، ولا يقول إلا حقاً ، بعيد عن الغيبة والنميمة ، عف اليد واللسان ، كثير المعروف والاحسان ، صادق وفي ، ومخلص أمين ، صابر عند الشدائد والملمات ، لا تطغى عليه شهوته ، ولا ينقاد لما تأمره به نفسه ، بل نفسه طيعة منقادة لروحه القوية ، التي راضها الصيام وجعلها وديعة هادئة ، قوية في الحق ، صابرة على الشدائد والمكاره .

الصوم يروض الروح ويربي الارادة

والصوم من أكبر الدروس العملية التي تعد الصائم الصادق للتقوى ، وتعده للأعمال الشاقة ، فهو مرب للارادة ، مروض للروح يغرس في صاحبه ملكة الصبر إذا أخلص النية لله .

الصوم طهرة وزكاة

والصوم طهرة وزكاة للجسد ، يطهر الانسان من بطر النعمة ، ويزيل عنه آثار الشح والبخل والكبر والخيلاء ، ويزكي جسمه من آفات فضلات الأطعمة والأشربة .

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،(لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر) رواه ابن ماجة .

المساواة والنظام في الصيام

والصوم هو الركن الرابع من أركان الدين الاسلامي ، ومن فوائده الاجتماعية،

المساواة فيه بين الأغنياء والفقراء ، والخاصة والعامة والأمراء والمأمورين ، وفي مشاركة الأغنياء للفقراء في الجوع إشعار لهم بلزوم العطف عليهم وأداء حقوقهم التي فرضها الله في اموالهم إلى الفقراء .

ففي الصوم إعلام الغني بحال الفقير ، وإشعار الطاعم الكاسي بالجائع العاري ، وفي هذا ما فيه من الخير الكثير للناس أجمعين . وفي الصوم تنظيم الأمة في المعيشة فجميع المسلمين يمسكون عن الطعام في وقت واحد ، ويفطرون في وقت واحد ، لا يتقدم أحدهم على الآخر دقيقة واحدة .

وفي هذا ما فيه من التنظيم الدقيق الذي يجب أن يسير عليه الناس في حياتهم الدائمة .

وللصوم فوائد روحية تعبدية هي المقصودة بالذات وهي أن يصوم المسلم لوجه الله تعالى لا يريد من غير ربه جزاء ولا شكوراً .

وبالصوم يتمثل الصدق في العبادة ، لأنه أمر موكول إلى نفس الصائم ، وعفته وشرفه ، لا رقيب عليه فيه إلا الله تبارك وتعالى ، وهو سر بين العبد وربه لا يشرف عليه أحد غير الله سبحانه وتعالى ، ولولا اطلاع الله عليه ومراقبته له ، وخوفه

هو من الله وطمعه في رحمة الله ، لما ترك طعامه وشرابه وهو في أشد التوق لهما ، ولما حبس نفسه عما تشتهي ومنعها مماتحب وترغب .

لذلك فقد جعل الله الصوم له وهو الذي سيجزي عليه إذ لا يعلم مقدار جزاء الصائم إلا الله عز وجل .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) : قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به . والصيام جُنَّة [1] فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث [2] ولا يصخب [3] فان سابَّه أحد أو قاتله فليقل اني صائم . والذي نفس محمد بيده لخلوف [4] فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه) رواه البخاري .

وفي رواية للبخاري أيضاً : يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي. الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها .

---

(١) جنة بضم الجيم : الوقاية والستر فهو يقي صاحبه من المعاصي والآثام ومن عقابها دخول النار . (٢) الرفث : اتيان الرجل زوجته . (٣) يصخب : من الصخب وهو شدة الضجة واضطراب الاصوات بين المتخاصمين . (٤) الخلوف بضم الخاء تغير رائحة الفم .

صورة
الصائم
الصادق

وفي هـــذا الحديث الشريف يبين لنا رسولنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه صورة الصائم الصادق الذي يجب ان يحسن الصوم خلقه ويجمله بالصبر، ويزينه باحتمال المكروه من الناس. فان سابه أحد أو قاتله احتمل منه هذا الأذى وقال له كلمة التقي الورع التي يدفع بها بالتي هي أحسن إني امرؤ صائم فاذهب وشأنك عني وسلام عليك.

هذه هي أخلاق الصائم الصادق بسموها وعلوها كما بينها رسول الرحمة إمامنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن أين هي الآن ؟ وأين ذهبت ؟ وماذا دهاها ؟

إننا نجد كثيراً من مسلمي اليوم عكسوا هذا المعنى السامي فجعلوا الصوم وسيلة لسرعة سخطهم وغضبهم، فهم يغضبون لسبب ولغير سبب، وتأخذهم العصبية الجاهلية للكلمة الواحدة، واشتهر هذا عند الناس وأخذوه بالتسليم وصاروا يعتقدون ان الغضب، والشراسة والحمق، والضجر والسآمة، كلها آثار

طبيعية للصوم ، فاذا غضب أحدهم وربما أفحش بالكلام وسب وشتم قال الوسيط في الصلح للمعتدى عليه : دعه فانه امرؤ صائم ولا عتب عليه ، وهذا في الواقع وهم وسوء خلق وضلال وجهل بالدين وهو عمل مناف للتقوى التي شرع الصوم من أجلها ، ومخالف للأحاديث النبوية الشريفة التي بيّن الرسول (ص) صفة الصائمين الصادقين فيها ومنها هذا الحديث الذي سبق ذكره .

الصوم عبادة

والصوم عبادة بدنية ، وما دام الانسان صائماً فهو في حالة عبادة وطاعة ، ولا يجوز للعابد أن يخالف ماتقتضيه العبادة من السكون والهدوء والحلم والوقار والطاعة والاستغفار ، والخشوع والخضوع . فلا يجوز للصائم أن يطعن أو يلعن ، ولا يصخب ولا يغضب ، ولا يفعل مايغضب الرب عز وجل من الغيبة والنميمة ، والكذب والخيانة ، وغمط حقوق الناس واحتقارهم . والذي يفعل من هذه الأعمال شيئاً وهو صائم فقد أهدر أجره وأضاع أتعابه ، فرب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ، كما

ورد في الحديث الشريف الذي يرويه النسائي وابن ماجه (كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش) .

الغيبة تفسد الصوم

وورد أن الغيبة وحدها تفسد صوم الصائم وتوجب عليه قضاء ما صامه وأفسده بالغيبة . ففي حديث: (الصيام جنة) زيادة تفيد هذا المعنى ، فقد ذكر الحافظ في شرحه من الفتح لفظ أبي عبيدة عند الامام أحمد (الصيام جنة ما لم يخرقها) زاد الدارمي (بالغيبة) وقال في هذه الزيادة : ان الغيبة تضر بالصيام . وحكي عن عائشة ، وبه قال الأوزاعي ان الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم .

وأفرط ابن حزم رحمه الله فقال : يبطل الصوم كل معصية من متعمد لها ذاكر لصومه الخ .

وقال الغزالي رحمه الله فيمن يعصي الله وهو صائم : إنه كمن يبني قصراً ويهدم مصراً .

فليحذر الصائمون مخالفة أمر الله ، وليصونوا صومهم عما يبطله ويفسده ، ويذهب بأتعابهم وحسناتهم .

الدين وحدة متماسكة

وليعلموا بأن الدين وحدة متماسكة لا تتجزأ فهو ايمان بالله الواحد الأحد ، وباليوم الآخر وهو صوم ، وصلاة ، وحج ، وزكاة ، وجهاد واخلاص ، وصدق ووفاء ، وحلم ووقار ، وجنة ونار ، وإيمان وعمل ، وخير واحسان ، وطاعة واذعان ، فمن عمل بالدين عمل بالكل وآمن بالكل وأطاع أحكام الدين وأوامره كلها ، وترسم خطى الاسلام وسار عليها لا يفرط في شيء مما يأمره به ربه العظيم ونبيه الكريم .

هكذا فهم سلفنا الصالح الاسلام وهكذا ساروا عليه عاملين مخلصين مؤمنين مجاهدين ، صائمين قائمين ، خاشعين خاضعين ، فبلغوا ما بلغوا من مجد وعز وخلود . ولكن خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أساؤا الى الدين فساءت حالهم ، وأضاعوا اخلاقهم ، وعقائدهم ، وتاريخهم ، فضاعوا ، فمنهم من أضاع الصلاة والصيام وترك الحج والزكاة ، ولم يقم بأي عمل من أعمال الاسلام وهو يسمى بالمسلم وينتسب الى الدين .

وهناك طائفة أخرى من الناس تصلي الصلوات الخمس وهي تملك نصاب الزكاة ولكنها لا تخرج الزكاة لأن المال عندها أعز من دينها وشريعتها ، فتقع في العذاب الأليم ، وتستحق الويل والثبور. قال تعالى : (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) . سورة فصلت

وبهذه الآية استدل القائلون: ان ترك الزكاة شرك يحارب عليه كما حارب أبو بكر رضي الله عنه من تركها . ومنهم من لو كانت الصلاة بدراهم لتركوها أيضاً ، ذلك لأن الدينار أصبح معبودهم من دون الله فاستحقوا غضب الله ومقته .

صيام بغير صلاة

وهناك طائفة من الناس تصوم شهر رمضان المبارك لأنهم أعتادوا صيامه تقليداً للآباء والأجداد ، أو أنهمّ يصومون لأنهم يكرهون مخالفة الناس ، ويخافون لومهم وعتبهم عليهم إن هم افطروا فجعلوا خشية الناس كخشية الله أو أشد خشية ..

وهم يصومون ولكنهم لا يصلون . فيتركون أهم وأجل

ركن في الاسلام وهو الصلاة ، والله عز وجل يقول :

« فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون »

والويل هو العذاب أو هو واد في جهنم . وهذا لمن سها عن صلاته فتركها وأهملها تكاسلاً حتى فات وقت أدائها .
فاذا كان الويل لهذا المهمل للصلاة فماذا سيكون مصير التارك الصلاة نهائياً ؟
يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا حظ في الإسلام لمن لا صلاة له والجواب واضح في كلام خليفة رسول الله الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي قاله للذين طلبوا منه أن يكف عن مقاتلة قوم امتنعوا عن أداء الزكاة ولكنهم اعترفوا بجميع الأركان الباقية واستعدوا القيام بها .

فقال لهم تلك القولة التي طار ذكرها في الآفاق : والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله (ص) لحاربتهم عليه ، والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة .

هكذا ينطق الصديق رضي الله عنه بمقاتلة من يفرق بين أركان الاسلام، فمن عمل بالدين عمل بالكل وآمن بالكل فاذا صمتم فكملوا تقواكم بالصلاة ولا تجعلوا الدين أجزاءاً أو صالاً ،

وإذا صليتم وأنتم مالكون للنصاب فزكوا وحجوا ليكمل الايمان ويتم الأجر والثواب . وهناك طائفة أخرى من الناس تصوم وتصلي وتؤدي الزكاة ، ثم لا يمنعها هذا عن أكل أموال الناس بالباطل ، ولا عن الشتم والقذف ، وسفك الدماء ، والخيانة والكذب الخ

فهؤلاء هم المفلسون الذين ليس لهم نصيب مما كسبوا من أعمالهم الصالحة إذ أنهم سيخسرونها ثم يطرحون في النار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال : « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة ، وصيام ، وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » رواه مسلم . والحق ان هؤلاء لو كانت صلاتهم وزكاتهم وصيامهم قد

مازجت أرواحهم وقلوبهم لتنهتهم عن اقتراف الآثام ، وباعدت بينهم وبين الاعتداء على الناس بغير حق .

فمن شأن الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما أن من صفة الزكاة أن تقوي الرابطة بين الناس ، وتنشر بينهم الرخاء والحب والوئام .

أما الصيام فحدث عن فوائده الروحية والصحية والاجتماعية ولا حرج .

وقد بينت طرفاً من فوائده الروحية والنفسية والاجتماعية ، أما فوائده الصحية فتكاد لا تحصى .

فوائد الصيام الصحية

قال العلامة المرحوم السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار (ج ١ ص ١٤٨) . ومن فوائده الصحية أنه يفني المواد الراسبة في البدن ولا سيما أبدان المترفين أولي النهم وقليلي العمل ، ويجفف الرطوبات الضارة ، ويطهر الأمعاء من فساد الذرب والسموم التي تحدثها البِطنَةُ ، ويذيب الشحم أو

يحول دون كثرته في الجوف وهي شديدة
الخطر على القلب ، فهو كتضمير الخيل
الذي يزيدها قوة على الكر والفر .

قال النبي (ص) : (صوموا تصحوا) رواه ابن السنى وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة . وأشار في الجامع الصغير الى حسنه ويؤيده : (اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا) رواه الطبراني في الأوسط عنه .

وقال بعض أطباء الافرنج : إن صيام شهر واحد في السنة ، يذهب بالفضلات الميتة في البدن مدة سنة .

التداوي بالصيام في امريكا

ولقد ثبتت فوائد الصوم الصحية حتى لغير المسلمين من الاوربيين والامريكيين فألفوا في ذلك الكتب وأنشأوا المصحات التي تعالج روادها بالصيام ، وقد شفي كثير منهم من أمراض مستعصية لم يشفها إلا الصوم .

ومن أشهر المؤلفين في هذا الموضوع العالم الامريكي (ماك فادن) وهو من علماء الصحة الكبار أسس مصحاً كبيراً مشهوراً في الولايات المتحدة سماه باسمه وألف (كتاب

الصيام) بعد أن ظهرت له نتائج عظيمة من أثر الصيام ومفعوله في القضاء على الأمراض المستعصية .

وقد قال ماك فادن وغيره : (إن الصوم نافع للجسم ، يصفيه من رواسب السموم التي تشتمل عليها الأغذية والأدوية) . والأمراض التي تعالج بالصيام قال فيها ماك فادن : انه قد عالج بالصيام اكثر الامراض ، غير أنه ذكر أن انتفاع المرضى بالصوم يتفاوت حسب امراضهم ، فأكثر الامراض تأثراً بالصيام امراض المعدة . قال : فالصوم لها مثل العصا السحرية يسارع في شفائها ويرى المعالج به العجب العجاب . وتليها امراض الدم ثم امراض العروق ، كالروماتيزم مثلا . وقد ذكر ماك فادن الاشخاص الذين عالجهم بالصوم وذكر اسماءهم وامراضهم وتواريخ معالجاتهم .

حاجة الجسم الى الصيام

ويقول هذا المؤلف ايضاً : إن كل انسان يحتاج إلى الصيام وإن لم يكن مريضاً ، لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم فتجعله كالمريض وتثقله ، ويقل نشاطه ، فاذا صام

خف وزنه ، وتحللت هذه السموم من جسمه بعد أن كانت مجتمعة فتذهب عنه حتى يصفو صفاء تاماً . ويستطيع أن يسترد وزنه ، ويجدد جسمه في مدة لا تزيد على العشرين يوماً بعد الافطار ، ولكنه يحس بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل .

ولقد أطنب هذا الرجل في وصف الفوائد التي يجنيها الصائم من صومه ، وأخبر عن نفسه أنه صام مراراً كثيرة لتجديد قواه ، ووجد لذلك فوائد ما كان ليجدها بدون الصيام ، وهو لذلك ينصح الناس جميعاً بهذا الصيام .

فسبحان الله الكبير المتعال الذي تظهر آياته في كل حين وأوان ، ولا تنقضي عجائب هذا الدين ما دام في الكون انسان ينبض قلبه بالحياة ، ويجري في عروقه دم الايمان بالملك الديان .

قال تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) .

(سورة فصلت)

فغير المسلمين اليوم أصبحوا يجلــون أحكام الاسلام ويعترفون بفضلها وصلاحها للمجتمع الانساني .

فأمريكا مثلاً تحرم الخمور وتشرع الطلاق ، وهي دولة مسيحية . وروسيا تحرم التعليم المختلط وتفصل مدارس البنات عن مدارس البنين ، لما رأت من تفشي الفساد بين الجنسين عند اختلاطهما ، وتخنث الرجال ، واسترجال النساء ، ولا خير في أمة ماع وتخنث شبابها ، واسترجلت نساؤها.وروسية دولة لادينية كافرة .

والهند تحرم الخمور ويخطب رئيس حكومتها مرحباً بعهد تحريم الخمور وعهد تحرير العقول من سلطانها الاهوج وهي دولة مجوسية .

ويقوم رجال من امريكا يداوون بالصيام وينصحون الناس جميعاً به .

هذا كله يصدر من دول غير اسلامية وهي غير مأمورة به ولكنها رأت صلاحه فاقتبسته لأمتها وطبقته على نفسها .

أما الدول التي تدين بالاسلام رسمياً فلا تجد أثراً من هذا في بلادها الاسلامية ، مع أنها مأمورة بالعمل بالاسلام ،

والاسلام مصدر عزها ، ومنار مجدها ، ومنبع سعادتها .

وبرهاننا ما نحن فيه من شهر الصيام فهل نجد لرمضان تلك الحرمة التي كانت له قبل الآن ؟

لقد حل في بلادنا العربية رمضان ولكنه كان ضيفاً ثقيلاً على المنافقين بل أصبح غريباً وكأنه ليس في بلاده ولا بين أهله؟

وكأن هذه الديار قد خلعت ربقة الاسلام من عنقها ، ومزقت ثوبه السابغ من فوق جسمها فظهرت فضيحتها ، وساءت حالتها ، وعمتها الفوضى الاخلاقية ، والاجتماعية ، والسياسية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

عرى الاسلام وقواعد الدين

لقد ابتعد كثير من الناس عن الصوم . وكأنهم جهلوا أو تجاهلوا أن الصوم إنما هو ركن الاسلام الرابع ، وهو من العبادات العملية المهمة التي فرضها الاسلام على المستطيعين من الناس أجمعين ذكورهم وإناثهم، لا فرق بين غني وفقير ، ولا بين أمير ومأمور، الكل في نظر الشريعة سواء. أكرمهم عند الله أتقاهم.

ولأهمية الصوم فقد جعله الرسول صلى الله عليه وسلم من عرى الاسلام وقواعد الدين التي عليها أسس وفوقها شيد بناؤه الشامخ ، وأن من ترك الصوم فقد جعل حكمه كحكم الكافر بها المباح دمه لاستباحته مخالفة الله العزيز الجبار ، وخروجه على أمر دينه ونبيه .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال حماد بن زيد ولا أعلمه إلا قد رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافرِ حلال الدم (شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان) . رواه أبو يعلى باسناد حسن .

فطر يوم من رمضان لم يقضه صوم الدهر

وقد ورد عن لسان سيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم أن من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض ، لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه . أترى ماذا سيكون مصير من أفطر رمضان كله لغير عذر شرعي ولم يصم منه شيئاً ؟

نعوذ بالله من شر تلك العقوبة التي سينالها مثل هذا الجاحد المستكبر عن عبادة الله وطاعته .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله) رواه الترمذي وغيره .

صــور مفزعة من عذاب المفطرين

أيها المسلم المشفق على نفسه من عذاب الله الشديد أرجو أن تنظر الى الصورة البشعة المفزعة التي سيعذب بها المستهترون الذين يفطرون قبل أن يحل لهم الافطار فلا يرعون حق الصوم ، ولا يحافظون على أركانه وآدابه وشروطه . ولا يسمعون لأمر الله لهم فيفطرون قبل حلول وقت الافطار ، والاعمال بخواتيمها . ان هؤلاء سيعلقون من عراقيبهم (مؤخر اقدامهم) يوم القيامة كما تعلق الدابة الذبيحة ، وستشقق أشداقهم (جوانب أفواههم) ويسيل منها الدم وهم معلقون منكسون على رؤوسهم .

ياهول هذا العذاب وقانا الله منه ، أترى كيف سيكون إذن حال من أنكر رمضان فأفطر فيه ولم يُسَلِّم على الصوم مدة حياته ؟؟؟

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (بينا أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بِضَبْعَيَّ [1] فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا : اصعد . فقلت : إني لا أطيقه . فقالا : انا سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سراة [2] الجبل إذا بأصوات شديدة ، قلت : ما هـذه الاصوات ؟ قالوا : هذا عواء أهل النار ، ثم انطلق بي فاذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم [3] مشققة أشداقهم [4] تسيل أشداقهم دماً .

قال : قلت من هؤلاء ؟ قال : الذين يفطرون قبل تَحِلَّةِ صومهم) . رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .

---

(١) الضبعان : بسكون الباء ، وسط العضد وقيل تحت الابط .

(٢) سراة كل شيء أعلاه .

(٣) العراقيب : جمع عرقوب ، عصب غليظ فوق عقب الانسان .

(٤) الاشداق : جوانب الفم .

فهل يعلم المفطرون بمثل هذا العذاب الذي سيصيبهم عن قريب ؟ ولا بد من وقوعه بعد أن أخبر عنه الصادق الأمين .

« انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ، يوم تكون السماء كالمهل. وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميم حميماً، يُبَصَّرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه ، كلا إنها لظى ، نزَّاعة للشوى ، تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى » . (سورة المعارج)

نعوذ بالله من غضب الله ، ونسأله الهداية والعافية ، والبر في الدنيا والآخرة ، فان كثيراً من الناس قد ضلوا السبيل وفرطوا في جنب الله وستكون عاقبة أمرهم خسراً .

فها هم المنتهكون لحرمات رمضان ، قد ملأوا أرجاء البلاد ، تجاهروا بمنكرهم وإفطارهم ولم يستحيوا من الله ، ولا من عباده المتقين ، فيراعوا شعورهم على أقل تقدير . لذلك نرى كثيراً من الضالين يجاهرون بافطارهم في الطرقات أو في أسواقهم ومتاجرهم ، أو في دوائرهم الرسمية ، ولم تأخذهم الخشية من الله

ولم يراعوا حرمة هذا الشهر المبارك وبجاهرتهم هذه ذنب آخر غير ذنب الافطار ، فقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه) . رواه الشيخان البخاري ومسلم .

ضلال بعد هدى

وهناك طائفة أخرى من الناس تصوم رمضان وتهتدي وتصلي فيه الصلوات الخمس وتؤمن بالله وتتقي ، وتعمل صالحاً يرضاه الله . فاذا انقضى شهر الطاعـــة والغفران رجعت الى الضلال والعصيان ولسان حالها يقول :

رمضان ولى هاتها يا ساقي الخ .

وفي العيد الذي يفرح فيه الصائمون بتوفيق الله لهم بالصوم وقبول طاعتهم ورضى المولى عليهم .

تأتي الطبقة الأخرى فتخلع عنها ثوب الأسلام . وتتجهم للدين وتنسى ربها وتهدر كرامتها وحسناتها وتذيبها في أتون المنكرات وجحيم الموبقات ، وتأتي في العيد من القبائح والرذائل أشياء تخجل منها الأرض والسماء ، ويتبرأ منها ومنهم بارىء الخلق ورب العرش العظيم .

ويصبح هؤلاء وكأنهم غير أولئك الذين كانوا بالأمس صائمين قائمين ، خاشعين خاضعين لله رب العالمين .

أترى كيف ساغ لهم أن يرتدوا ثوب الضلال بعد ثوب الهدى ؟ ويستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

أيها المسلم الكريم :

الصوم نعمة من ربك عليك ، فارع النعم ولا تزيلها بالمعاصي .

واعلم بأن الصوم الصحيح يهدي القلب الى الايمان ، وينوره بنور الاسلام ، ويهذب النفس ، ويقوي العزيمة ، ويعرّف العبد مقدار نعم الله عليه ، ويملأ قلبه رحمة بالضعفاء

والفقراء ، ويجعله دوماً وأبداً طائعاً ومخلصاً، وعابداً صادقاً، وبراً مستقيماً لا يتزعزع ايمانه بالله، يصوم رمضان في الحر من غير ضجر ولا ملل ، ويصومه في القر من غير سآمة ولا وجل ، فاذا خالف رجل من الناس هذه الصفات ولم يؤثر فيه صومه ، وخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فقد خسر خسراناً مبيناً وشذ عن سواء السبيل ، فأغضب ربه ، وأرضى شيطانه وهواه .

أيها المسلم الثمل بخمرة المعاصي :

إن الله تبارك وتعالى الذي تعبده في رمضان وتسجد له ، هو هو الإله الموجود المعبود في شوال وغير شوال ، وهو هو الله الواحد القهار في رمضان وفي سائر الأشهر والأعوام ، يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

فما بالك تعصي الله بعد طاعة ، وتضل بعد هدى، وتعوج بعد استقامة ، وتكفر بعد ايمان ؟

فان كنت تعبد الله وحده فان الله تبارك وتعالى حي لا يموت وهو الحي القيوم الدائم الباقي الذي لا يزول ولا يحول

وسيدوم وجهه الكريم ويفنى كل شيء « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » .

فما بالك تعبده شهراً واحداً وتعصيه أحد عشر شهراً ؟ فان كنت تعبد رمضان ، فرمضان يأتي ويزول ، ويروح ويغدو ، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً وسوف تحرم من ثمرات أجر الصيام إن لم ترد بصيامك وجه الله .

سؤال وجوابه

قد تقول لي أيها المخاطب الكريم : شهر رمضان شهر مبارك ، وهو شهر القرآن والغفران ، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف . قال تعالى إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به . (الحديث)

ونحن إذا صمناه واحترمنا شعائر الاسلام فيه فهلا يكتب لنا شيء من الاجر والثواب على ذلك ؟ وهل سنحرم حقاً من أتعابنا فيه ؟

والجواب على هذا واضح بين ، فالله تبارك وتعالى يقول: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . وقد عملتم ما أوجبه الله عليكم في هذا الشهر المعظم فكتبت لكم الحسنات ومحيت عنكم كثير من السيئات لأن الله عز وجل يقول : (إن الحسنات يذهبن السيئات) .

ولكنكم برجوعكم الى ارتكاب الآثام ، وطاعتكم للشيطان وهوى الأنفس التي تأمركم بالسوء والمنكر ، وعصيانكم لله الكبير المتعال بترك أوامره ، وعدم الانتهاء عن نواهيه؛ فباقترافكم لهذه الآثام ، هدمتم ما بنيتموه في رمضان ، وأضعتم ما جمعتموه من حسنات .

ومثلكم في هذا كمثل رجل ملك شاة حلوباً ، وفي وقت الحلب أتى بالآنية ثم بدأ يحلبها وبعد مشقة استطاع أن يملأ

آنيته من حليبها ، ولكنه سرعان ما رفس الاناء برجله فبدد الحليب فوق الارض ، وذهبت أتعابه وحرم من الحليب .

فكما ان الحسنات يذهبن السيئات فان السيئات المتوالية تأتي كذلك على الحسنات فتفنيها وتنهيها وتذهب بها .

وقد رأينا المفلسين الذين يأتون يوم القيامة بصلاة ، وصيام ، وزكاة ، ولكنهم يأتون الى جانب هذا بمعاص وآثام تذهب بحسناتهم فيطرحون في النار .

وفي الحديث الشريف في النهي عن الحسد قوله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . فالحسد معصية ، وكل معصية فهي كالحسد لا بد ان تهلك معها شيئاً من الحسنات .

فاياكم والمعاصي فمصيرها وخيم وعاقبتها مظلمة ، فاذا أطعتم الله في رمضان فداوموا على طاعته واستقيموا في دينكم وليكن رمضان حداً فاصلا بينكم وبين المعاصي ، فان المعاصي تزيل النعم ، وتورث الندم .

وكونوا مسلمين حقاً ، ومؤمنين صادقين تعبدون الله في كل حين حتى تكونوا من اولئـــك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ومن الذين اذا ذُكِرَ الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون . ومن الذين آمنوا بالله واعتصموا بحبله المتين فألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا متحابين ، وساروا قافلة واحدة صفوفهم متراصة ، وأرواحهم متعانقة وقلوبهم متصلة ، وكان أثر القرآن فيهم ايجابياً ، حتى مهدت لهم أطراف الأرض ، وفتحت لهم أبواب السماء . فملأوا الدنيا قسطاً وعدلا بعد أن كانت قد ملئت ظلماً وجوراً . وقد كان الله العظيم غايتهم ، والقرآن دستورهم . والرسول صلى الله عليه وسلم قدوتهم وامامهم وزعيمهم ، والجهاد سبيلهم ، والموت في سبيل الله أسمى أمانيهم .

فهل لنا أن نقتدي بهؤلاء الامجاد ونعيد سيرتهم الاولى ونبني كما بنوا ، ونصنع مثلما صنعوا ، فنصل الى شيء مما وصلوا من مجد وعز وسؤدد ؟؟ ونغسل ذلك العار الذى لطخته يد الحدثان في

جباهنا . فَهُنّا حتى على أنفسنا ، في هذا العصر الذي تتابعت فيه علينا الاحداث والكوارث ، وتكالبت فيه علينا الأمم ، وخاننا العدو والصديق ، وغدر بنا الغريب والبعيد ، وظلمنا القوي والضعيف ، وطمع فينا الذئاب والحملان ومن لا يدفع عن نفسه من شذاذ الآفاق ، وشريدي الدنيا ، وطريدي البشرية ممن غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً .

وصرنا في حال لا يمكن أن يكشفها عنا إلا الله العلي القدير : (ليس لها من دون الله كاشفة) .

فيجب أن نتوجه الى الله بقلوبنا وأفئدتنا وأعمالنا وأقوالنا . ونؤمن ايماناً جازماً بأننا لن نكون أمة عزيزة مستقيمة حتى نرجع الى الدين الذي أعز أوائلنا وأسلافنا الامجاد وجعلهم بحق خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

نسأل الله أن يهيء لنا من أمرنا رشداً وأن يوفقنا الى الركون اليه تعالى والرجوع الى دينه القيم ، وهدي رسوله

الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ، وسيرة آله الاكرمين وصحبه الطيبين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

ولعل خير ما أختم به نصيحتي لقرائي الكرام في هذا الموضوع ، مقتبسات من كلام خير الناس وسيد الرسل، الذي أوتي جوامع الكلم ، (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) فهي النبراس المضيء لكل من اهتدى به وعمل بمقتضاه ، ومما جاء في كلام أصدق الناصحين ، وسيد العالمين قوله صلى الله عليه وسلم :

(أيها الناس ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، وان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وإن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليتزود العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الهرم . ومن الحياة قبل الموت. فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة .

وما من يوم ينشق فجره إلا وينادي منادٍ ياابن آدم أناخلق

جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فاني لا أعود الى يوم القيامة. فالعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني . وكما تدين تدان . وكما تزرع تحصد . وما قدمت اليوم تقدم عليه غداً . فاليوم عمل ولا حساب . وغداً حساب ولا عمل . وليس بعد هذه الدار إلا الجنة او النار) . ومسك الختام هو أمر الله عز وجل لنا بالمسارعة الى طلب مغفرته وجنته الخالدة .

قال تعالى : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها . ونعم اجر العاملين) صدق الله العظيم ..

(سورة آل عمران)

بيان معنى الصوم

وتاريخه

معنى الصوم في اللغة هو الامساك والكف عن الشيء . قال البيضاوي : إن الصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس . لا مطلق الامساك كما يقول الجمهور . وقال ابو عبيدة وهو من رواة اللغة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم . ثم قال : خيل صيام وخيل غير صائمة . أي قيام بلا اعتلاف .

أما معنى الصوم في الشرع فقد ذكر النووي رحمه الله في شرح مسلم : انه امساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة .

قيل هو الامساك عن الاكل والشرب وغشيان النساء من الفجر الى المغرب . احتساباً لله عز وجل . وإعداداً للانفس وتهيئة لها لتتقي الله بالمراقبة له . وتربية الارادة على ترك كبح

جماح الشهوات ، ليقوى صاحبها على ترك المضار والمحرمات.

وفي السنة الثانية من الهجرة فرض الله صيام رمضان على الأمة الإسلامية فأنزل الله قوله : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات) .

ولما كان الصوم من أقوى العبادات ، وأعظم ذرائع التهذيب ،وهو امتحان للانفس الحرة العاقلة وتجربة للارادة، ومقياس الرجولة الحقة ، ومظهر الصلة بين الخالق والمخلوق، فقد فرضه الله علينا كما فرضه على الذين من قبلنا .

قال العلامة المرحوم السيد محمد رشيد رضا في تفسيره : (وفي اعلام الله تعالى لنا بأنه فرضه كما فرض على الذين من قبلنا اشعار بوحدة الدين في أصوله ومقصده . وتأكيد لأمر هذه الفريضة وترغيب فيها .

ثم قال : قال الاستاذ الامام، يعني محمد عبده رحمه الله . أبهم الله هؤلاء الذين من قبلنا والمعروف أن الصوم مشروع

في جميع الملل حتى الوثنية فهو معروف عند قدماء المصريين في أيام وثنيتهم ، وانتقل منهم الى اليونان فكانوا يفرضونه لا سيما على النساء . وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون الى الآن . وليس في اسفار التوراة التي بين أيدينا ما يدل على فرضية الصيام وإنما فيها مدحه ومدح الصائمين ، وثبت أن موسى عليه السلام صام أربعين يوماً . وأما النصارى فليس في أناجيلهم المعروفة نص فريضة الصوم ، وإنما فيها ذكره ومدحه واعتباره عبادة كالنهي عن الربا وإظهار الكآبة فيه .

والوثنيون كانوا يصومون لتسكين غضب آلهتهم اذا عملوا ما يغضبها أو لإرضائها واستمالتها الى مساعدتهم في بعض الشؤون والأغراض ، وكانوا يعتقدون أن إرضاء الآلهة والتزلف اليها يكون بتعذيب النفس وإماتة حظوظ الجسد ، وانتشر هذا الاعتقاد في أهل الكتاب حتى جاء الإسلام يعلمنا أن الصوم ونحوه انما فرض لأنه يعدنا للسعادة بالتقوى ، وان الله غني عنا وعن عملنا ، وما كتب علينا الصيام إلا لمنفعتنا) .

وهذا المعنى وأكثر منه هو الذي تفيده هذه الاية الكريمة التي عللت فائدة الصوم وبينت غايته في قوله تعالى: (لعلكم تتقون) فقد بينت الآية الحكمة العليا من الصوم وهي أن الصوم يعد الصائم لتقوى الله تعالى ، بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة ، امتثالاً لأمر الله تعالى واحتساباً للأجر عنده فتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها ، فليس الصوم في الاسلام لتعذيب النفس بل لاعدادها للخير وتربيتها وتزكيتها ، وهذا المعنى هو الذي يؤيده لفظ (لعل) الوارد في الآية الكريمة إذ من معنى لعل اللغوي : الاعداد والتهيئة ، والرجاء .

وأوامر الاسلام دوماً لا تكون إلا في صالح الانسان تهديه الى الخير ، وتهذبه وتضمن له السعادتين ، وتعزه في الحياتين .

نسأل الله ان يهدينا بهدي هذا الدين ويوفقنا لأتباع سنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه اجمعين .

هلال رمضان

بعث الله حبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم الى الكون هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وجعله خاتم الانبياء والمرسلين ، وأنزل عليه الشريعة الحنيفية السمحاء وجعلها خاتمة الشرائع ، وخلاصة الاديان .

ولما كانت هذه الشريعة إنما هي شريعة الدنيا ، تبقى ما بقيت الدنيا ، فقد جعل الله احكامها عامة تصلح لكل زمان ومكان ، وقواعدها ثابتة لا تتغير ولا تنقضي على كر الدهور والاعوام .

ومن هذه القواعد العامة قاعدة الصيام على رؤية الهلال . فالهلال الجميل تسفر السماء عن وجهه الجميل كل شهر فيطلع على الدنيا بوجهه الجديد، وليس في الكرة الارضية شبر واحد، من برها وبحرها ،وسهلها وجبلها ، لايطل عليه هذا الهلال . يستوي الناس جميعاً في رؤياه إذ أنه يغزوهم في ديارهم

ومساكنهم ، فلا يبقى رطب ولا يابس ولا بلد من بلاد الدنيا لا يتمتع برؤيته .

ولهذا فقد جعل الاسلام الاعتماد في ثبوت شهر رمضان وانقضائه على رؤية الهلال . فكل بلد يصوم لرؤيته ويفطر لرؤيته. فان غم عليه وغطاه سحاب أو غبار أو ضباب أكملوا العدة ثلاثين يوماً . وينبغي للناس أن يتلمسوا الهلال في اليوم التاسع والعشرين من شعبان، فان رأوه صاموا، وإن غم عليهم اكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً . ويثبت هلال رمضان برؤيته من الناس أو بشهادة رجل واحد عدل أو أكثر . ولا يثبت هلال شوال إلا بالرؤية أو كمال ثلاثين يوماً من رمضان إن غم على الناس ، أو بشاهدي عدل اثنين فأكثر .

وفي الحديث الشريف : عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فأقدروا له). اخرجه النسائي.

وفي لفظ : «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى

تروه ، فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » .

(البخاري)

ولمسلم رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فضرب بيده فقال : (الشهر هكذا ، وهكذا وهكذا ، ثم عقد ابهامه في الثالثة ، صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فاقدروا ثلاثين) .

توحيد الصيام بين الأقطار الاسلامية

قد تقول أيها القارىء الكريم بعد ان اتصل العالم باختراع الراديو واللاسلكي فلماذا لا يصوم المسلمون كلهم في يوم واحد ويفطرون في يوم واحد ، فتتوحد أيامهم واعيادهم ، ويعتمدون في رؤية الهلال على مصر او الحجاز مثلاً وبعد رؤيته من المراصد تبلغ بذلك جميع البلاد الاسلامية .

وفي الجواب على سؤالك هذا أقول : إن قاعدة الاسلام اعم ، واشمل ، واعظم ،

واحكم ، فاننا لا نضمن بواسطة الراديو أن تبلغ الخبر الى كافة المسلمين .

وفي المسلمين من يسكن الجبال والخيام ، وفيهم من استوطن الصحراوات الشاسعة والجزر البعيدة والقرى النائية .

أترى كيف نوصل الخبر الى مثل هؤلاء من المسلمين ونكلفهم ما لا يطيقون من العناء في التفتيش عن خبر ثبوت رمضان أو شوال ؟

فالاسلام جعل الهلال هو الدليل وهو اعم وأشمل ، فهل تستطيع أن تجد لي أيها السائل الكريم قرية أو جزيرة أو قصراً أو كوخاً لا يطل عليها الهلال وهي في محلها ، تراه فتصوم ، ثم تراه فتفطر أو تكمل العدة ثلاثين يوماً عن احتجابه عنها بغيم أو غبار أو ضباب .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان اختلاف المطالع في البلاد ، يجعلها بحكم الضرورة مختلفة ، خاصة البلاد التي تقع على خطوط مختلفة . فبيننا وبين طوكيو مثلاً فرق يقرب من

نهار كامل ، وكذلك ما بيننا وبين نيويورك بمثل هذه النسبة ؛ فاذا رأينا الهلال نحن فلا يلزم أهل هذه البلاد الصوم حتى يروه هم ، وكذلك العكس اذا رأوه هم فلا يلزمنا الصوم ، بل نعتمد على رؤيتنا لاختلاف المطالع بيننا وبينهم .

أما البلاد التي تقع على خطوط طول واحدة فالأصح أنه إذا رآه أهل بلد لزم الصوم أهل البلاد الأخرى كلها . وهو ما ذهبت اليه المالكية وغيرهم . وليت البلاد الاسلامية التي تدخل في هذه القاعدة توحد صيامها وأعيادها ، وخاصة بعد تيسير الاتصال بواسطة الاختراعات الحديثة التي قربت البعيد ويسرت العسير .

من رأى الهلال وجب عليه صومه

من السنة أن يترقب الناس الهلال لشهري شعبان ورمضان و أن تقوم منهم طائفة لتؤدي هذا الواجب عن الباقين .

واذا رأى المسلم هلال رمضان لزمه أن يؤدي الشهادة الحسبية أمام المحكمة الشرعية المختصة .

فان لم تأخذ المحكمة بشهادته لعدم توفر الأسباب لديها ، فعلى ذلك المسلم أن يصوم ولو كان وحده والناس كلهم مفطرون لعدم ثبوت الهلال عندهم ، وثبوته عنده ، لأنه رأى الهلال ظاهراً ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد قال : صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته .

النهي عن صوم يوم الشك

اذا وقع الخلاف بين الناس في اليوم الأخير من الشهر هل هو من رمضان أم من شعبان ؟ فقد حصل الشك في الأنفس ، وخلافهم إنما لتحدثهم برؤية الهلال مستندين على قول قائل مجهول ، أو معين لايقبل خبره أو شهادته كالصبي مثلاً ، ففي هذه الحالة لا يجوز للمسلم أن يصوم هذا اليوم الذي هو يوم الشك لورود النهي عن ذلك .

فقد روي عن جبلة بن زفر قال : « كنا عند عمار بن ياسر فأتي بشاة مَصْلية فقال : كلوا ، فتنحى بعض القوم فقال اني صائم فقال عمار : من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد

عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم » (أخرجه ابن ماجه) .

أما إذا كان الانسان صائماً في شعبان لدين أو تطوع ، فلا بأس من استمراره في صومه وإن كان اليوم الأخير هو يوم الشك .

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستقبلوا الشهر بصوم يوم أو يومين إلا أن يوافق ذلك صياماً كان يصومه أحدكم ». (رواه النسائي) .

استقبال رمضان وخصائصه

كان المسلمون الأولون رضوان الله عليهم أجمعين يتأهبون لقدوم شهر رمضان قبل الاستهلال ، وتستبشر به نفوسهم وتستشرف لنظره استشرافها لقدوم غائب عزيز من سفر بعيد ، لأنه موسم العبادة ، وشهر الطاعة والغفران، وما أشوق نفوسهم الى الطاعة للملك الديان ، وطلب مغفرته عز وجل .

وقد روي عن الإمام علي كرم الله وجهه انه كان لا

يستشرف لهلال إلا هلال رمضان ، وكان اذا نظر اليه قال : (اللهم أدخله علينا بالسلامة من الاسقام والفراغ من الأشغال، ورضّنا فيه باليسير من النوم) .

فاذا دخل الشهر أو شاهد أحد الهلال فيستحب أن يقول : (الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والاسلام، ربي وربك الله ، أسأل الله التوفيق ، لما يحب ويرضى ، اللهم سلمنا من رمضان وسلمه منا ، ينقضي وقد غفرت لنا ورحمتنا وعفوت عنا) .

وقد خص الله تبارك وتعالى الأمة الاسلامية من بين سائر الأمم بشهر رمضان المبارك ووفر به حظها من الرحمة والنعمة عند القسمة . كما خص الله رمضان بخصال ووهبها لأمة القرآن ، ولم يهبها لغيرها من الأمم .

ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أعطيت أمتي في رمضان خمس خصال لم تعطهن أمة كانت قبلهم ، خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى

يفطروا ، وتصفد مردة الشياطين ، فلا يصلون فيه الى ما كانوا يصلون اليه، ويزين الله جنته في كل يوم فيقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المثونة والأذى ويصيروا اليك ، ويغفر لهم آخر ليلة من رمضان، فقالوا يا رسول الله: هي ليلة القدر ؟ قال : لا ، ولكن العامل إنما يوفى أجره عند انقضاء عمله) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » . (رواه الترمذي وابن ماجه) .

وجوب النية في صيام رمضان

كل عمل من الأعمال الشرعية إن لم تصحبه النية الصادقة الخالصة لله عز وجل لم يحظ بالقبول ، وتذهب أتعاب صاحبه

من غير أن تسجل له شيئاً من الحسنات . والدليل على هذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » . فتمام الأعمال وقبولها إنما هو حسب نية صاحبها .

والصوم ركن من الاركان الاسلامية . فاذا ثبت هلال رمضان وجب على المسلم أن ينوي ويعزم على صيامه لله ويبيت النية ويوقعها في الليل . ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن حفصة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من لم يجمع [1] الصيام قبل الفجر فلا صيام له » رواه الخمسة .

وقد اختلف الأئمة الكرام أتجب النية في كل يوم من أيام رمضان ولكل يوم نية مستقلة أم تكفي نية صيام الشهر كله من أوله فقط . قال الشوكاني في (نيل الاوطار) عند كلامه على

---

(١) يجمع : أي يعزم . يقال أجمعت على الأمر أي عزمت عليه . وقال المنذري هو الإجماع وهو من أحكام النية والعزيمة يقال : أجمعت الرأي وأزمعت بمعنى واحد .

حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « والظاهر وجوب تجديدها لكل يوم لأنه عبادة مستقلة مسقطة لفرض وقتها ، وقد وهم من قاس أيام رمضان على أيام الحج باعتبار التعدد للأفعال لأن الحج عمل واحد ولا يتم إلا بفعل ما اعتبره الشارع من المناسك والإخلال بواحد من أركانه يستلزم عدم إجزائه » .

النية في التطوع

ولزوم النية إنما هو في شهر رمضان ، أما في صيام غير رمضان ، أو في صيام التطوع فلايلزم تبييت النيةللصوم، بل يجوزللمرء أن ينوي الصوم في النهار فيمسك عن الطعام والشراب وغشيان النساء حتى يمسي ويتطوع بهذا الصوم لله رب العالمين .

كما يجوز له أن ينوي صوم التطوع . ثم إذا مالت نفسه الى الفطر أن يفطر ولا شيء عليه . وقيل يلزمه القضاء . إلا أن الاستمرار في الصوم أفضل بالاجماع .

وقدكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل على بعض أزواجه فيقول : هل من غداء ؟ فان قلن نعم تغدى ، وإن قلن لا قال اني صائم .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فقال : هل عندكم من شيء ؟ فقلنا لا ، فقال فإني إذن صائم ، ثم أتانا يوماً آخر فقلنا يارسول الله أهدي لنا حيس [1] ، فقال أرينيه فلقد أصبحت صائماً فأكل » . (رواه الجماعة إلا البخاري) .

وزاد النسائي في لفظ : قال يا عائشة إنما منزلة من صام في غير رمضان أو في التطوع بمنزلة رجل أخرج صدقة ماله فجاد منها بما شاء فأمضاه ، وبخل منها بما شاء فأمسكه .

---

(١) الحيس : طعام يتخذ من التمر والسمن والدقيق .

سنة السحور

الاتيان بالسحور مستحب وهو من سنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه البركة ، روى عبدالعزيز بن صهيب قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان في السحور بركة » . أخرجه البخاري .

قال الحافظ العسقلاني : المراد بالبركة الأجر والثواب . وقيل البركة ، ما يتضمن من الاستيقاظ والدعاء في السحر ، ومخالفة أهل الكتاب والتقوي بالسحور على العبادة ، وزيادة النشاط ، ومدافعة سوء الخلق الذي قد يثيره الجوع .

والسحور من خصائص الأمة الاسلامية وهو فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ، فقد ورد من حديث عمرو بن

العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » (أخرجه الترمذي) .

وروى عمرو بن ميمون أنه قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعجل الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً .

وتأخير السحور أفضل وهو من السنة . والحكمة في تأخير السحور هي أن النهار يقبل على الصائم وفي المعدة من الغذاء ما يتقوى به على الطاعة بحيث لا يجهده الصوم فيقعد عن فعلها ، ولأجل ذلك ورد في الحديث الشريف « هلموا الى الغداء المبارك » فسماه غداء لمعنيين : أحدهما لكونه يعمل ما يعمله الغذاء من التقوية للبدن . وثانيهما لقربه من محل الغداء الذي هو النهار ، وما قارب الشيء ، أو سد مسده جاز أن يجري عليه حكمه .

ويمتد وقت السحور الى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر لقوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا

الصيام الى الليل » .

والخيطان هما بياض النهار وسواد الليل .

وقد ورد انه كان بين سحور رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين صلاته مقدار خمسين آية .

اخرج البخاري عن انس عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام الى الصلاة قلت : كم كان بين الأذان والسحور ؟ قال : قدر خمسين آية » وقوله « قدر خمسين آية » أي متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ، لا سريعة ولا بطيئة . قال أبوعبد الله ابن أبي جمرة كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما هو الارفق بأمته فيفعله ، لانه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم ، ولو تسحر في جوف الليل لشق أيضاً على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي الى ترك الصبح أو يحتاج الى المجاهدة بالسهر .

فعلى المسلم أن يتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في

السحور فيؤخره الى آخر الليل حتى يتمكن من مواصلة السحور بالصلاة وهو أنفع لصحته ، وأدعى لراحته ، فاذا أكل ونام فقد أضر نفسه ، وخالف سنة نبيه الرحيم بالمؤمنين والطبيب لأرواحهم وأبدانهم عليه صلوات الله وسلامه ما كر الجديدان ، وما دام في الكون انسان يسبح بحمد ربه ويستغفره .

يوم الصائم

وكف الجوارح عن القبائح

بعد ان ينوي المسلم الصيام ويستعد له بالسحور يستقبل فجر يومه بالصلاة في ذلك الغبش الندي برحمة الله ، ثم بعدها يصبح وقد زانه الصيام ، وجمّلته التقوى ، وسعد برضى ربه عليه ، وابتهج بشهر الطاعة والغفران .

أترى كيف يجب أنْ يقضي يومه الذي أصبح فيه وهو صائم قائم ؟

من المعلوم بالضرورة انه ليس المراد من الصوم أن يدع الانسان طعامه وشرابه ثم يدع جوارحه تسترسل في فعل ما حرمه عليها الشرع الشريف ، فيترك العين تنظر الى ما تشتهيه مما حرمه الله عليها ، والاذن تسمع ما يحلو لها سماعه من

المحرمات ؛ واللسان ينطق بما تهواه نفسه وتوجيه له من قول الزور والبهتان والاثم والعدوان . وهكذا بقية الجوارح يتركها تسرح وتمرح في المحرمات وهو صائم فمثل هذا ليس لله حاجة في جوعه وعطشه .

ففي الحديث الشريف الذي يرويه كيسان المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه أبو داود والترمذي .

قال ألامام أبو بكر بن العربي رحمه الله :

مقتضى هذا الحديث أن من فعل ما ذكر لا يثاب على صيامه . ومعناه أن ثواب الصيام لا يقوم في الموازنة باثم الزور وما ذكر معه . وقال البيضاوي رحمه الله : ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات ، وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة . فاذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله اليه نظر القبول ، فقوله صلى الله عليه وسلم : (ليس لله حاجة) مجاز عن عدم القبول فنفى السبب

وأراد المسبب والله أعلم [١]

ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو صالح رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ، فان جهل عليه أحد فليقل إني امرؤ صائم) .

والصائم في يومه إنما هو في عبادة، إذ الصوم عبادة صامتة - كما قلنا - فيجب عليه أن يكف جوارحه عن كل القبائح ولا يفعل ما يشين صومه أبداً . والجوارح المأمور الصائم بصيانتها سبعة : -

الأولى : غض البصر عن النظر ، فيكفه عن هذه الى ما لا يشغله عن ذكر ربه قال تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن

---

(١) ذكر هذا صاحب كتاب « مدارك المرام في مسالك الصيام » المحدث الحافظ قطب الدين القسطلاني رحمه الله .

فروجهن) النور .

وقال تعالى : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا .

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله، فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله ايماناً يجد حلاوته في قلبه) .

الثانية : صون السمع عن الاصغاء لكل ما يحرم قوله أو يكره، لأن كل واحد منهما يترتب عليه ما يمنع وجود الكمال المطلوب في الافعال من الرجال الأتقياء .

وقد سوى الله بين القول والفعل في الذم فقال تعالى : (سماعون للكذب أكّالون للسحت) .

ولما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « العالم والمتعلم شريكان في الأجر » . (أخرجه ابن ماجه) .

قال القسطلاني رحمه الله : « وكذلك قائل القبيح والمستمع له

شريكان في الاثم ، والله أعلم .

الثالثة : حبس اللسان عن النطق بالفحش والبهتان . قال تعالى : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) .

فيجب أن يتجنب الصائم الكذب والغيبة ، والنميمة ، والمراء ، والفحش والخصومة والجفاء والغلظة مع الناس .

قالت حفصة بنت سيرين : (الصوم جُنَّة ما لم يخرقها صاحبها وخرقها بالغيبة) . ويلزم الصائم الصمت والاشتغال بما هو قربة نافعة ، من صلاة ، أو ذكر ، أو تلاوة ، أو نصح للناس ، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر . فهذا هو الذي يقصد به من صوم اللسان .

الرابعة : البطن : وذلك بأن يحفظ بطنه من أن يدخل فيها شيء من رزق حرام . (فان العبد إذا أدخل اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملاً أربعين يوماً ، وأيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به) . هكذا أخبرنا الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم . فلا يتفق الصوم مع الغش في المعاملة ، أو

إنفاق السلعة بالايمان الكاذبة ؛ والكسب الحرام يتنافى مع الصيام ، إذ أن الصوم يكف صاحبه طول النهار عن أكل وشرب الحلال ، فكيف يسوغ له أن يملأ بطنه عند الافطار من الحرام ؟ وهو نار محرقة .

وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا وكيف نستحي من الله حق الحياء . قال من حَفِظَ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وذكر الموت والبلى ، وترك زينة الحياة الدنيا فقد استحيا من الله حق الحياء » اخرجه الترمذي[1].

الخامسة : الفرج : قال تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون » .

فقد اثنى الله تعالى على من حفظ فرجه وجعله من المؤمنين الصادقين الذين لهم جنة نعيم .

وإرسال الطرف والنظر ، مبدأ الشر والشرر ، ونهايته

---

(١) نقله القسطلاني في كتاب مدارك الكلام في مسالك الصيام .

بلوغ النفس وطرها من المنظور اليه .

وفي الحديث الشريف : (العين تزني ، والرِجْل تزني ، والقلب يتمنى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) .

السادسة والسابعة : اليد ، والرجل. فلا يمدهما الصائم لمنهي عنه ، ولا يتخذهما واسطة لمحرم ، إذ يتنافى ذلك مع الطاعة التي عزم عليها في صومه .

فاذا صان الانسان جوارحه عن الآثام فقد كمل صومه وضوعف أجره ، وكان من الذين رضي الله عنهم وارضاهم، وجعل الجنة مأواهم ، نسأل الله ان يجعلنا منهم أجمعين .

وفي الواقع إن امر صيانة الجوارح مطلوب في ايام الصوم وفي غير ايام الصوم ، إلا انه في حالة الصوم ، يجب الاعتناء به اشد والمحافظة عليه أولى وأوكد من اي وقت آخر لأنه موسم عبادة وظرف طاعة، فيجب الاستفادة من فرصه الثمينة الغالية .

نسأل الله ان يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

تعجيل الفطر

كما أن تأخير السحور من سنة الاسلام — وقد بيناه — فتعجيل الفطر كذلك من سنة ديننا الحنيف . وفي تعجيل الفطر تخفيف على النـــاس « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

والصوم إنما هو في النهار ، فاذا دخل الليل فقد انتهى الصوم ولزم الفطر ، لذلك فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تأخير الفطر الى ظهور النجوم ، كما نهى عن الوصال في الصيام . عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال امتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم » (رواه الحاكم وابن حبان) .

ودخول الليل يحصل عند غياب الشمس واختفائها في الأفق واذا غابت الشمس فقد حان وقت الفطر .

ففي الحديث المتفق عليه بين الشيخين البخاري ومسلم رحمهما الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله

عليه وسلم يقول: « اذا اقبل الليل – زاد البخاري – من هاهنا وأشار باصبعه قِبَلَ المشرق ، وأدبر النهــار – زاد البخاري في روايته – من ها هنا – يعني من جهة المغربْ – وغابت الشمس فقد أفطر الصائم » . أي دخل في وقت الفطر كما يقال أنجد اذا أقام في نجد ، وأتهم اذا أقام بتهامة .

وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : (إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطراً) رواه الامام أحمد والترمذي .

وروى أبو حازم واسمه سلمة بن دينار عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) . أخرجه الترمذي و (ما) هنا ظرفية أي مدة فعلهم ذلك امتثالاً للسنة ووقوفاً عند حدها .

قال المهلب : والحكمة في ذلك أن لا يزاد في النهار من الليل ، ولأنه أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة اهـ.

واتفق العلماء على أن محل الافطار عند تحقق غروب الشمس بالرؤية الظاهرة أو باخبار عدلين أو عدل واحد ،

نقل ذلك الشوكاني في نيل الاوطار .

فيستحب لك أيها الصائم الكريم أن تقف عند حدود السنة المطهرة فتعجل الفطر ولا تؤخره، وتؤخر السحور ولا تعجله، وبذلك تصيب السنة وتنال الأجر والثواب على الطاعة .

عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : (لا تزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلو الفطر) . رواه الامام احمد .

المواصلة في الصيام

أما مواصلة الصيام يومين أو اكثر من غير ان يفطر الصائم بينهما فقد نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة بالناس واشفاقاً عليهم .

أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يواصل الصيام احياناً ، ولكنه يطعمه ربه عز وجل ويسقيه ، فيغنيه عن الطعام والشراب .

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال ، فقالوا إنك تفعله ، فقال إني لست كأحدكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني) متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اياكم والوصال ، فقيل إنك تواصل ، قال إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا [1] من العمل ما تطيقون)
(متفق عليه)

وقد ذهب اكثر الأئمة الى تحريم الوصال وقال بعضهم انه مكروه غير محرم . وورد عن الشافعية الوجهان : التحريم والكراهية .

فظهر من هذا أنه لا يجوز الوصال في الصيام لما فيه من المشاق والمتاعب ، واحكام الاسلام لا تقوم على التعسير والتنفير بل تبتنى على التيسير والتبشير والتخفيف ورفع الحرج عن الناس ، قال تعالى : (ما يريد الله ليجعل عليكم

---

(١) أكلفوهم بضم اللام : أي احملوا من المشقة ما تطيقون .

في الدين من حرج) . وقال تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .

الدعاء عند الفطر

روى ابن أبي مليكة قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله « ص » (إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد : قال ابن أبي مليكة : سمعت عبدالله بن عمرو يقول اذا أفطر : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي) اخرجه ابن ماجه .

وعن معاذ رضي الله عنه قال : « كان رسول الله « ص » اذا أفطر قال : الحمد لله الذي أعانني فصمت ، ورزقني فأفطرت » .

وقد ورد أن رسول الله (ص) كان يقول « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت » رواه أبو داود .

وعن نافع قال : قال ابن عمر رضي الله عنهما : كان يقال

(إن لكل مؤمن دعوة مستجابة عند إفطاره إما تعجّل له في الدنيا أو تدخر له في آخرته . قال فكان ابن عمر يقول عند افطاره : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن أن تغفر لي ذنوبي) ، وكان يدعو لأهله وولده ايضاً .

وروي عنه انه كان إذا افطر قال « ذهب الظمأ ، وابتلّت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله » .

وعلى هذا فيشرع للصائم أن يدعو عند افطاره بما علم من هذا الدعاء . فالدعاء مخ العبادة . ويعد من جملة القرب المبلغة لنيل الحسنات في الدنيا والآخرة .

خاصة في موطن كهذا الموطن العظيم بعد ان أمضى المسلم يومه صائماً خاشعاً خاضعاً منيباً الى الله ثم آن أوان الفطر وقد تجلى عليه ربه وسر به وبصيامه فله أن يدعو والله سبحانه يستجيب الدعاء حسب وعده الكريم « ادعوني أستجب لكم » والله لا يخلف الميعاد .

أجر من فطّر صائماً وصورة الدعاء له

المسلم كريم بطبعه ، سخي بفطرته ، إذ الاسلام رباه على

كره الشح والبخل، وغرس في نفسه حب الضيف واكرامه، فهو لا يأنس إن أكل وحده ، ولا يمنع رفده وخاصة في رمضان ، فانه جدير بأن يكثر فيه الاحسان ، ويفطر فيه الموسرون الناس على موائدهم ليكسبوا الأجر وينالوا الثواب ويأنسوا بضيوفهم . وقد ثبت أن النبي « ص » قال « من فطر صائماً فله مثل أجره »

كما ثبت انه صلى الله عليه وسلم دعا لمن أكل عنده بهذا الدعاء المأثور « أفطر عندكم الصائمون ، وصلَّت عليكم الملائكة ، وتنزلت عليكم السكينة ، وذكركم الله عز وجل فيمن عنده » .

فيحسن بك أيها المسلم ان تفطِّر على موائدك الصائمين ليثبت لك الأجر ، كما يحسن بكل مسلم ان يحفظ هذا الدعاء ليدعو به لمن أطعمه من المسلمين المحبين للكرم والكرماء ، وهم الأسخياء الأتقياء ، الذين رضي الله عنهم وأرضاهم .

أول ما يفطر عليه الصائم

روي عن أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله

(ص) يفطر على رطبات قبل ان يصلي، فان لم تكن رطبات فتمرات ، فان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء »
(رواه الامام احمد) .

وفي حديث آخر عن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه عن النبي (ص) قال : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فانه بركة . فمن لم يجد فليفطر على ماء طهور » (اخرجه الترمذي) . فيحسن للصائم أن يفطر على الرطب أو التمر أو الماء أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

يظهر أن هذا يختلف باختلاف العادات وما يغلب على البلاد من أقوات .

فالبلاد التي يكثر فيها التمر كالحجاز والعراق تشملها هذه السنة ، فان عدم التمر – في البلاد الجبلية مثلاً – فما ناسبه من الزبيب أو التين ، فمن لم يجد شيئاً من ذلك فالماء فانه طهور .

ويقال ان الحكمة من الافطار على الحلوى انه مما يصحح

النظر ويزيده قوة بعد أن يكون قد ضعف بالصوم .

قال ابن القيم رحمه الله : (هذا من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ونصحهم فان اعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة أدعى الى قبوله وانتفاع القوى به ولا سيما القوة الباصرة فانها تقوى به . وحلاوة المدينة التمر ومرباهم عليه . وهو عندهم قوت وأدم . ورطبه فاكهة .

وأما الامعاء فانه يحصل لها بالصوم نوع يبس فاذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده . ولهذا كان الأولى بالظمآن الجائع أن يبدأ قبل الأكل بشرب قليل من الماء ثم يأكل بعده هذا مع ما في التمر والماء من الخاصية التي لها تأثير في صلاح القلب لا يعلمها إلا أطباء القلوب [1] ا . هـ

الاحتراز من الشبع وقت الفطر

إعتاد كثير من الناس أن يجعلوا من رمضان موسماً للتفنن

---

(١) كتاب مدارك المرام في مسالك الصيام القسطلاني .

في صنع الأكلات وتنويعها وهم إذا أفطروا وبدأوا بالأكل لم يرأفوا بأنفسهم، فيأكلون أكل النهم الجشع، فيمسون وقد أضروا بأنفسهم وصحتهم ودينهم وخالفوا فيه سنة الاسلام واهدروا فائدة الصيام . فالله سبحانه وتعالى يقول « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

وقال النبي «ص» (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه) .
وقد ورد عنه ايضاً صلى الله عليه وسلم : « جهد ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فاعلاً فثلث للطعام ، وثلث للشراب وثلث للنفس » .

قال القسطلاني رحمه الله « وهو اذا شبع عند فطره ، فقد قصر فيما يقتضي المزيد من أجره : فالشبع يورث القسوة ، ويوفر الجفوة ، ويثير النوم ، ويجلب الكسل عن الطاعة » .

وروي عن عيسى عليه السلام انه كان يقول للحواريين : « لا تأكلوا كثيراً ، فتشربوا كثيراً ، فتقسوا قلوبكم » .

فحسبك أيها الصائم من الطعام ما يسد جوعتك، ومن الماء ما ينقع غلتك ويرويك ، ولا تكثر من ماء الثلج فانه مضر بصحتك، وقلل من الطعام بقدر ما تستطيع ، واذا أكلت فلا تشبع شبعاً ظاهراً تشعر بعده بثقل في معدتك أولاً ثم في جسمك كله ، فان زدت في الطعام الى حد التخمة فقد اهدرت فائدة الصيام الصحية ، وخالفت شريعتك المحمدية التي أمرتك بالقصد والاقتصاد في كل شيء .

وحسبك أسوة رسول رب العالمين محمد الهادي الأمين « ص » فقد كان لا يأكل حتى يجوع ، واذا أكل لا يشبع ، وكان غالب قوته صلى الله عليه وسلم التمر والماء بل كان يمر على بيوته الكريمة الشهر والشهران ولم تشعل النار فيها .

واليك ما أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله من حديث عائشة رضي الله عنها .

« عن عروة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول : والله يا ابن اختي إن كنا لننظر الى الهلال ثم

الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله (ص) نار. قلت يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء ، إلا انه قد كان لرسول الله « ص » جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله (ص) من البانها فيسقيناه » .

وهكذا شفقة النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته وزهده وإعراضه عن الدنيا يأتيه اللبن هدية فيسقيه الى أهله ويبقى هو يعيش على التمر والماء . فأين هذا مما نحن عليه الآن ؟ من الترف والاسراف في الأكل والشرب وفي كل شيء . نسأل الله العافية والقناعة فانها كنز لا يفنى .

صلاة التراويح

من نعمة الله على المسلمين أن فرض الله عليهم صيام رمضان ، وسن لهم الرسول الأعظم قيامه، بصلاة التراويح، وبهذه الصلاة تسمو أرواحهم ، وتصح أبدانهم ، ويرمون عنهم ثقل الطعام والشراب ، فتعود الى اجسامهم الحيوية والنشاط ، والى أرواحهم الطمأنينة والهناء ، لتمكنهم من القيام بطاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في شهر القرآن والاسلام .

عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله عز وجل فرض صيام رمضان ، وَسَنَنْتُ قيامه ، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) رواه أحمد والنسائي .

وحديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة ، فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه الجماعة .

قال النووي رحمه الله : (إن قيام رمضان يحصل بصلاة التراويح) واتفق العلماء على استحبابها .

واختلف الأئمة الكرام في أن الأفضل للمسلم أن يصليها في بيته منفرداً عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) ؟ أم أن يصليها في جماعة في المسجد ؟

ذهب الشافعي وجمهور أصحابه ، وأبو حنيفة ، وأحمد وبعض المالكية وغيرهم رحمهم الله جميعاً الى القول بأن الأفضل صلاة التراويح في المسجد في جماعة ، كما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستمر عمل المسلمين عليه لأنه من الشعائر الظاهرة فأشبه صلاة العيد .

وبالغ الطحاوي فقال : إن صلاة التراويح في الجماعة واجبة على الكفاية .

وذهب الامام مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الى أن الأفضل صلاتها فرادى في البيت ، مستدلين بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) .

وثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلاها في المسجد وصلى خلفه ناس كثير ، وكان ذلك في رمضان ولم يتركها مع الجماعة إلا خشية افتراضها على الناس .

ففي الحديث الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم ، فصلى فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بصلاته ، فلما كانت الرابعة عجز المسجد عن أهله ، حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الصلاة

أقبل على الناس فتشهد ثم قال : أما بعد : فانه لم يخف علي مكانكم ولكن خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها . فتوفي رسول الله (ص) والأمر على ذلك » .

ثم استمر الصحب الكرام في صلاتها ، فمنهم من كان يصليها بصورة متفرقة منفردين ومنهم من كانوا يصلونها مجتمعين حتى رأى الحالة الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجمع الناس عليها .

« عن عبدالرحمن بن عبدالقاري قال : خرجت مع عمر بن الخطاب في رمضان الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أُبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر : نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يعني آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله » رواه البخاري .

ولمالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال ، كان الناس في

زمن عمر يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة » والذي عليه العمل اليوم في أكثر البلاد الاسلامية هو ما رآه الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه من صلاتها عشرين ركعة في جماعة حتى في مكة المكرمة والمدينة المنوره .

الاكتفاء بثماني ركعات

وروي في الحديث الذي أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كان النبي (ص) يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة »

وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلى بهم ثماني ركعات ثم اوتر .. »

والحق أن بعض المسلمين في رمضان لو اكتفوا بثماني ركعات يصلونها بخشوع واطمئنان لكان خيراً لهم ، وأحسن أجتراً .

اننا نرى الكثيرين يصلون صلاة التراويح عشرين ركعة

ولكنهم في السرعة يتسابقون بالركض في الصلاة أيهم أكمل العشرين قبل الآخر فذاك الامام الجيد بزعمهم ، أما كيف صلى ؟ وماذا قرأ من القرآن ؟ وكيف قرأه ؟ فذاك مالا يسأل عنه الناس . وهذا خطأ واضح لا يقره الشرع ، فالصلاة التي تجرد من الخشوع والطمأنينة ليست جديرة بأن تسمى صلاة ، وتفقد خواصها ، وآثارها الطيبة .

فلو صلينا ثماني ركعات بهدوء ، وتدبرنا ما يتلى فيها من القرآن، وخشعت نفوسنا وجوارحنا في الصلاة أمام رب العالمين ، وبين يديه لكان حالنا أسعد بكثير مما نحن عليه الآن من نقر عشرين ركعة كنقر الديك ونخرج منها وكأننا لم نصل شيئاً ، نخرج من الصلاة بهذه السرعة لنجلس في المقاهي والمجالس الخاصة ، فكأن هذه المجالس أصبحت أعز علينا من الوقوف بين يدي ربنا ومناجاته في شهر القرآن والاسلام .

فعلى المسلمين أن يؤدوا صلاة التراويح مصحوبة بالخشوع والاطمئنان والهدوء لينالوا الأجر والثواب من الله .

واذا صلوا عشرين ركعة فهو الأفضل ولهم مزيد الاجر والثواب ولكن بشرط أن يصحبها الخشوع والطمأنينة في كل ركعة من ركعاتها العشرين .

فائــــدة

لقد سميت هذه الصلاة في رمضان بصلاة التراويح ، لأن فيها إستراحة بين كل تسليمتين يستريح فيها المصلي بذكر الله تعالى .

صوم الصبيان

البيت المسلم يجب أن يظهر أثر الاسلام فيه ، فاذا حل رمضان ، بان أثره في البيوت الاسلامية العريقة في الاسلام ، فالأب صائم والأم صائمة ، ولا بد أن ينشأ الأبناء على هذه الروح السامية التي يؤمر الأب ببثها بين أبنائه وبناته .

ولأجل بعث هذه الروح في الابناء يجب تمرينهم على الطاعات وأمرهم بها من الصغر حتى يتربوا عليها وتتشبع أرواحهم بها ، وهي سنة من سنن الاسلام الطيبة .

روي في الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أطاق الغلام صيام ثلاثة أيام وجب عليه صيام الشهر كله » . وهذا الحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال أخرجه المرهبي عن ابن عباس ولفظه : « تجب الصلاة

على الغلام اذا عقل ، والصوم اذا أطاق ، والحدود والشهادة اذا احتلم ، وعلى هذا فيستحب أمر الصبيان بالصيام للتمرين عليه اذا أطاقوه حتى يكبروا على حب الله وطاعته .

وقد قال باستحباب ذلك جماعة من السلف الصالح منهم ابن سيرين والزهري والشافعي وغيرهم .

واختلف اصحاب الشافعي في تحديد السن التي يؤمر الصبي عندها بالصيام فقيل سبع سنين ، وقيل عشر ،وبه قال الأمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وقيل اثنتا عشرة سنة . وبه قال اسحاق .

وقال الأوزاعي : اذا أطاق ثلاثة أيام تباعاً لا يضعف فيهن حمل على الصوم .

عن الربيع بنت معوذ قالت : أرسل رسول الله (ص) غداة عاشوراء الى قرى الانصار التي حول المدينة ، من أصبح صائماً فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه . فكنا بعد ذلك نصومه وتصومه صبياننا الصغار منهم

ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن [1] ، فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناها اياه حتى يكون عند الافطار. أخرجه البخاري ومسلم .

قال البخاري وقال عمر لنشوان في رمضان : « ويلك وصبياننا صيام وضربه » . وأصله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي برجل شرب الخمرة في رمضان . فلما رفع اليه عثر فقال : على وجهك ويحك وصبياننا صيام . ثم أمر به فضرب ثمانين سوطاً ثم سيره الى الشام .

فيجدر بالآباء والامهات أن يعودوا أبنائهم على الصيام ويرغبوهم ولو بواسطة الألعاب وشراء الحلوى وبعض المأكولات تشويقاً لهم وترغيباً حتى يصبروا على الجوع الى وقت الافطار مساء وبذلك يمرنونهم على الطاعة واحتمال الأذى ويحفظونهم من شرور الدنيا والآخرة ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » .

---

(١) العهن : الصوف المصبوغ الملون .

باب الرخص في الافطار

الصيام عبادة شاقة لا يتحملها كثير من الناس ، وقديماً قد قيل الصلاة عادة ، والصيام جلادة ، وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن مشقة الصوم أوفى تعبير إذ قال : (الصوم نصف الصبر) .

من أجل هذا وجرياً على سنة الاسلام القائمة على التيسير ورفع الحرج عن الناس ، فقد رخص الله عز وجل لبعض عباده في ترك الصوم ، وأباح لهم الافطار رحمة بهم ، وتخفيفاً عنهم قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ،

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون »[1].

وهذه الرخصة تنتظم أصنافاً من الناس أبينها فيما يلي والله الهادي الى الصواب .

الرخصة للمريض

أباح الله للمريض أن يفطر في رمضان ، وعليه القضاء بعد الشفاء . فيصوم عن كل يوم من رمضان يوماً من غيره متى رجعت اليه صحتهُ وقدرته على الصيام ، قال تعالى :
فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدَّة من أيام أخر »
وحكم هذه الآية واضح لا يحتاج الى كثير بيان .

---

(١) سورة البقرة .

وهذا الذي بيناه إنما هو في المريض الذي يرجى له الشفاء . وهناك نوع آخر من المرض لا يرجى لصاحبه الشفاء .

وهذا القسم من الناس له أن يفطر ؟ ويطعم عن كل يوم من أيام رمضان مسكيناً واحداً ولا صيام عليه .

أما كيفية الفدية فهي أن يطعم مسكيناً عن كل يوم من أيام القضاء ما يكفي لفطوره وسحوره من غالب قوت البلد الذي يعيش فيه ، وله أن يؤدي اليه قيمة ذلك من الدراهم .

والمرض المبيح للفطر هو الشديد الذي يزيد بالصوم ، أو يخشى المريض تأخير شفائه ان هو صام بناء على اقتراح طبيب مسلم أمين . وإذا غلب على ظن الصائم الهلاك بسبب الصوم ، أو الضرر الشديد كتعطيل حاسة من حواسه ، وجب عليه الفطر .

وهذا هو المعول عليه من آراء الفقهاء الاجلاء . ومن المواضع التي اختلف فيها العلماء في مثل هذا المقام مسألة المريض اليائس من الشفاء وكان لا يرجى شفاؤه ، ولكنه زال عنه

يأسه وعادت اليه صحته ، هل يجب عليه القضاء أم تكفيه الفدية ؟

فمن الناس من يقول أن القضاء واجب في هذه الحال ، ومنهم من يقول اجزأته الفدية ولا قضاء عليه .

والرأي الوسط هو ما رآه بعض العلماء من أنه إذا أخرج الفدية فعلا ثم برىء بعد الاخراج فلا قضاء عليه .

وأما إذا لم يخرجها حتى برىء فقد وجب عليه القضاء .

الرخصة للشيخ الكبير

الشيخ الكبير أو الشيخة إذا أدركهما الهرم وكان الصوم يجهدهما ، ويشق عليهما مشقة شديدة ، فلهما أن يفطرا ويطعما عن كل يوم مسكيناً — فدية عن صيامهما على النحو الذي بينته — واباحة الفطر لهما لا خلاف فيه بين العلماء ، لقوله تعالى : (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « رخص

للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليه »
(رواه الحاكم)

وعن عطاء انه سمع ابن عباس يقرأ : (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس : (ليست بمنسوخة ، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعما مكان كل يوم مسكيناً) رواه البخاري .

الرخصة للحبلى والمرضع

ومن رحمة الاسلام بالضعفاء ، وتيسيره على الناس ، انه رخص للحامل والمرضع بالافطار في رمضان اذا خافتا الضرر من الصيام على النفس فقط ، أو الولد فقط ، أو على النفس والولد معاً .

ولا يختلف العلماء في هذه الرخصة للحامل والمرضع لثبوت ذلك في حديث الرسول (ص) قال :

عن أنس بن مالك الكعبي أن رسول الله (ص) قال :

(إن الله عز وجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ، وعن الحبلى والمرضع الصيام) رواه الخمسة .

واختلف العلماء فيما يجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا ، هل يجب عليهما القضاء والفدية معاً ؟ أم القضاء فقط بدون فدية ؟ أم عليهما الفدية فقط ولا قضاء عليهما ؟

يرى كثير من العلماء ومنهم الامامان الشافعي وابن حنبل، ان الحامل والمرضع إن خافتا على النفس فقط أو على النفس والولد، فعليهما القضاء ، أما إذا خافتا على الولد فقط فعليهما القضاء والفدية ، ويقول ابن قدامة صاحب المغني : انهما في هذه الحالة داخلان في عموم قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية) . ويقول : إن أبا داود روى عن النبي (ص) : « إن الحبلى والمرضع إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا » .

ويرى ابو حنيفة رحمه الله أن الواجب عليهما القضاء فقط بدون فدية، واستدل بحديث: (ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة ، وعن الحامل والمرضع الصيام) .

وهذا الحكم عند أبي حنيفة مطرد في الحامل والمرضع سواء كان خوفهما على النفس فقط ، أو على الولد فقط ، أو على النفس والولد .

وقال بعض العلماء يفطران ويطعمان ولا قضاء عليهما : وإن شاءتا قضتا ولا طعام عليهما ، وبهذا يقول اسحق رحمه الله .

الرخصة للمسافر

رخص الله للمسافر أن يفطر في رمضان ، ويصوم عوضاً عنه أياماً أخرى .

قال تعالى . « فمن كـــان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

والرخصة في السفر رحمة بالمسافر لما في السفر من مشاق ومتاعب ، ومجرد السفر فيه مظنة المشقة ، ولو كان بالطائرة أو الباخرة أو السيارة والقطار ، وكله يجوز فيه الافطار كما يجوز

فيه الصيام . وأكثر السلف والخلف ذهبوا الى اباحة الفطر للمسافر، ومنهم المشدد ، ومنهم المخفف ، ومنهم معتدل بين الفريقين .

وقد اختلفوا في أيهما افضل للمسافر الفطر ام الصيام ؟

قال ابوحنيفة ومالك والشافعي الافضل الصوم لمن قدر عليه ولم يشق ، ليوافق المسافر عادة الناس ؛ ولأن النبي (ص) قال :

« من كانت له حمولة يأوي الى شبع فليصم رمضان حيث أدركه » .

وقال الأمام أحمد بن حنبل : الفطر أفضل لأن النبي (ص) قال : (ليس من البر الصيام في السفر) ولأن في الفطر خروجاً من خلاف أصحاب الرأي القائل بوجوب ترك الصيام في السفر .

ولعل من أعدل المذاهب هو المذهب الذي رواه قوم عن عمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة، وهو أن أفضل الامرين أيسرهما على المسلم ، لأنه هو الذي يوافق مقصود الشارع من

التخفيف عن الناس .

ولأن أبا داود روى عن حمزة بن عمرو انه قال : (قلت يا رسول الله إني صاحب ظهر أعالجه وأسافر عليه وأكريه ، وانه ربما صادفني هذا الشهر - يعني رمضان - وأنا أجد القوة ، وأنا شاب وأجدني ان أصوم يا رسول الله أهون علي من أن أؤخر فيكون ديناً علي ، أفأصوم يا رسول الله أعظم لأجري أم أفطر ؟ قال : (أي ذلك شئت يا حمزة) .

فعلى المسلم أن يتبصر في امره ، ويستفتي قلبه ، ويختار أهون الامرين عليه فيفعله ، إن شاء أفطر وقضى ما عليه بعد ذلك ، وإن شاء صام .

عن أنس قال : كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم) « متفق عليه » .

وعن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما قالا :(سافرنا مع رسول الله (ص) ، فيصوم الصائم ويفطر المفطر ، فلا

يعيب بعضهم على بعض) رواه مسلم .

أما إذا وجد المشقة وعرّض نفسه للاضرار فانه يجب عليه الفطر وهو الأفضل .

عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله (ص) في سفر فرأى زحاماً ورجلا قد ظلل عليه ، فقال ما هذا ؟ فقالوا صائم . فقال(ص) : (ليس من البر الصيام في السفر).

مسافة السفر المبيح للفطر

وقد اختلف الأئمة الكرام في تقدير مسافة السفر الذي يجوز للمسلم ان يفطر فيه ، واتفقوا على انمسافة السفر التي يجوز معها قصر الصلاة، هي نفسها التي تبيح الافطار للصائم ، واختلف في تقدير المسافة التي تبيح القصر .

ذهب الشافعي ومالك والليث والاوزاعي وفقهاء أصحاب الحديث وغيرهم الى انه لا يجوز إلا في مسيرة مرحلتين وهما ثمانية واربعون ميلاً هاشمية كما قال النووي .

وقال ابو حنيفة والكوفيون : لا يقصر في اقل من ثلاث

مزاحل . وقول آخر عنه وعن غيره ان مسافة القصر ثلاثة ايام بسير الابل والأقدام .

وذهب الباقر والصادق واحمد بن عيسى والقاسم والهادي الى ان مسافته يوم وليلة .

قال في الفتح وقد اورد البخاري ما يدل على ان اختياره ان اقل مسافة القصر يوم وليلة . اما الظاهرية فلم تأخذ بهذه الأقوال فكل ما يطلق عليه اسم السفر يجوز فيه القصر والفطر عندهم .

ولو كان السفر بمسافة ميل مثلاً ما عدا الخروج للضواحي القريبة إذ لا يسمى ذلك سفراً .

واختلف في تقدير الميل ، فقال في الفتح الميل هو من الارض منتهى مد البصر لان البصر يميل عنه على وجه الارض حتى يفنى إدراكه . وبذلك جزم الجوهري .

وقيل انه ينظر الى الشخص في ارض مستوية فلا يدري أرجل هو ام امرأة ؟ او ذاهب أو آت .

وخلاصة القول ان الأئمة الكرام قد اجمعوا على ان يكون السفر طويلاً وهو ما يبلغ القصر كما ذكرنا ، وتقدير المشقة يرجع الى نفس المؤمن ، فانه يستفتي قلبه وان افتاه المفتون .

فوائد

١ – لقد ذكر أحمد بك الحسيني في كتابه (دليل المسافر) ان مقدار المسافة بالكيلومترات ٨١ عند الحنفية و٨٩ر٠٥ ونصف تقريباً عند الأئمة الثلاثة . ففي هذه المسافة يجوز للمسافر ان يفطر ويقصر .

٢ – اذا نوى المسافر الصيام في الليل واصبح وهو صائم ثم عرض له السفر فسافر ، فله ان يفطر .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في شهر رمضان فصام حتى مرّ بغدير في الطريق وذلك في بحر الظهيرة قال فعطش الناس

فجعلوا يمدون اعناقهم وتتوق انفسهم اليه ، قال فدعا رسول الله (ص) بقدح فيه ماء فأمسكه على يده حتى رآه الناس . ثم شرب فشرب الناس » رواه الإمام احمد .

٣ ـ ويجوز للمسافر ان يفطر قبل خروجه من الموضع الذي أراد السفر منه .

عن عبيد بن جبر قال . ركبت مع أبي بصرة الغفاري في سفينة من الفسطاط في رمضان فدفع ، ثم قرب غداءه ، ثم قال اقترب ، فقلت : ألست بين البيوت ؟ فقال أبو بصرة: « أرغبت عن سنة رسول الله (ص) » رواه احمد وأبو داود .

٤ ـ وهذا عند الامام احمد بن حنبل رحمه الله .

المسافر إذا دخل البلد في أول رمضان ونوى الاقامة الشهر كله لزمه الصوم إذ قد زال عنه اسم السفر .

أما إذا دخل ولم يعزم الاقامة بل هو متردد بين الاقامة والسفر فله ان يفطر كما له ان يصوم إلا ان الصوم أفضل ان قدر عليه .

قضاء رمضان متتابعاً ومتفرقاً

لقد عرفنا أصحاب الرخص الذين أمتن الله عليهم فأباح لهم الفطر ايام الصيام ، ولا شك ان هذه الأيام قد أصبحت ديناً في ذمتهم ودين الله أحق بالقضاء . قال تعالى : (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) .

يجوز قضاء رمضان متتابعاً ومتفرقاً ، أما التتابع وهو ان يصوم ما عليه يوماً بعد آخر متتابعات حتى ينهي دينه فهذا لا خلاف فيه بل هو المرغوب المحبوب .

والخلاف إنما هو في قضائه متفرقاً وهو ان يجزىء الصوم ، فيصوم كلما وجد في نفسه قابلية واستعداداً للصوم حتى ينهي ما بذمته على هذه الطريقة .

والى جواز هذا ذهب الجمهور وحكاه في البحر عن علي

عليه السلام وأبي هريرة وأنس ومعاذ رضي الله عنهم اجمعين واستدلوا بحديث محمد بن المنكدر قال : بلغني ان رسول الله (ص) سئل عن تقطيع قضاء شهر رمضان فقال : (ذاك اليك أرأيت لو كان على أحدكم دين فقضى الدرهم والدرهمين ألم يكن قضاء ؟ والله أحق أن يعفو) رواه الدارقطني .

وهذا ما يوافق روح السماحة التي بنيت عليها الشريعة الاسلامية ، وإن كان بعض أهل الظاهر وغيرهم ذهب الى لزوم التتابع في قضاء شهر رمضان .

متى يقضى دين رمضان ؟

إذا أفطر المسلم في شهر رمضان لمرض أو سفر ، ثم شفي بعد رمضان مباشرة ، أو رجع الى بلده ، فانه لا يلزمه الصوم مباشرة ، بل له ان يصوم في الوقت الذي يراه مناسباً لصومه من ايام السنة التي هو فيها ، ويجوز له التأخير الى شعبان من العام القابل .

وقد ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت :

« كان يكون علي الصوم من رمضان فما استطيع ان أقضي إلا في شعبان، وذلك لمكان رسول الله (ص) » (رواه الجماعة).

فاستدل بهذا على جواز تأخير قضاء رمضان مطلقاً سواء كان لعذر أو لغير عذر .

من أدرك رمضان ولم يقض ما عليه من دين

يروى باسناد ضعيف عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ص) : « في رجل مرض في رمضان فأفطر ، ثم صح ولم يصم حتى أدركه رمضان آخر فقال : يصوم الشهر الذي أدركه ثم يصوم الذي افطر فيه ويطعم عن كل يوم مسكيناً » رواه الدارقطني .

وقد حصل شيء من الخلاف بين العلماء في أمر الفدية مع الصيام ، فقال الجمهور بلزوم الفدية مع الصيام لمن حال عليه الحول ولم يقض ما عليه .

وقال أبو العباس : ان ترك الأداء لغير عذر وجبت وإلا فـــلا .

وحكي في البحر عن الشافعي انه إن ترك القضاء حتى حال الحول لغير عذر لزمه وإلا فلا .

قال الشوكاني في نيل الأوطار : وأجيب عن هذين القولين بأن الحديث لم يفرق وقد بينا انه لم يثبت في ذلك شيء عن النبي (ص) وذهاب الجمهور الى قول لا يدل على انه الحق ، والبراءة الأصلية قاضية بعدم وجوب الاشتغال بالأحكام التكليفية حتى يقوم الدليل الناقل عنها ولا دليل ههنا ، فالظاهر عدم الوجوب .

وعلى هذا الرأي فمن أدركه رمضان ولم يقض ما عليه من دين فعليه أن يؤدي صوم رمضان الجديد أولاً ثم بعده يقضي ما عليه من دين ولا فدية عليه مع القضاء .

فائدة

إذا صام انسان بعض أيام من رمضان ثم مرض ثم مات ولم يكن عليه قضاء ولا نذر . لزم أن يطعم عنه من تركته للفقراء والمساكين ، عن كل يوم لم يصمه .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا مرض الرجل في رمضان ثم مات ولم يصم أطعم عنه ولم يكن عليه قضاء وإن نذر قضى عنه وليه . (رواه أبو داود) .

الصوم عن الميت

في الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما : (ان امرأة قالت يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها ؟ فقال : أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها ؟ قالت نعم . قال : فصومي عن أمك) أخرجه الشيخان .

وفي رواية : ان امرأة ركبت البحر فنذرت إن الله نجاها أن تصوم شهراً ، فأنجاها الله فلم تصم حتى ماتت فجاءت قرابة لها الى رسول الله (ص) فذكرت ذلك . فقال : (صومي عنها) اخرجه احمد والنسائي .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (ص) قال : (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) متفق عليه .

فهذه الأحاديث دلت على أن من مات وعليه صوم أي صوم كان ، صام عنه وليه ، والى هذا ذهب اصحاب الحديث وجماعة من محدثي الشافعية وأبو ثور ، ونقل البيهقي عن الشافعي انه علق القول به على صحة الحديث، وقد صح، وبه قال الصادق والناصر والمؤيد بالله والأوزاعي وأحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوليه ، كما نقله الشوكاني في (نيل الأوطار) وذهب الجمهور إلى أن صوم الولي عن الميت ليس بواجب .

والحق هو كذلك، فهو ليس من باب الفرض أو الواجب على الولي ، إنما هو مستحب مستحسن . ومن الوفاء للميت على قريبه أو وارثه أن يوفي دينه ، ودين الله أحق بالوفاء ، ويدعو له دعوات صالحات ، لعل الله يرحمه بها ويعفو عنه، إن الله غفور رحيم .

تعمد القيء يبطل الصيام

في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمداً فليقض) رواه الخمسة إلا النسائي .

قال الترمذي عقب اخراج هذا الحديث : والعمل على هذا عند أهل العلم وبه يقول الشافعي وسفيان الثوري واحمد واسحق .

وقوله عليه الصلاة والسلام : من ذرعه القيء ، معناه من غلبه القيء دون أن يتسبب هو ذلك . ومن استقاء أي من تسبب في القيء بوضع اصبعه في حلقه مثلاً أو غير ذلك ، فقد فسد صومه ويجب عليه أن يصوم يوماً مكانه . وأما من غلبه القيء فلا قضاء عليه وصومه صحيح .

قال العلماء : وإنما وجب القضاء على من استقاء متعمداً لأنه لا بد أن يرجع الى جوفه شيء ما فيكون قد تسبب في ادخال شيء الى جوفه بالاستقاءة عمداً . وكذلك من غلبه القيء ايضاً لا بد أن يقع له مثل ذلك ولكن الشارع اغتفر له ذلك لأنه مغلوب على أمره . والافطار إنما يكون بالداخل لا بالخارج .

من أكل أو شرب ناسياً

الانسان عرضة للنسيان وقيل : وإنما سميت انساناً لأنك ناسي ، والانسان لا يملك رد النسيان إذا اعتراه ، فهو خارج عن ارادته ، لذا فان شريعة الحق والخير - شريعة الاسلام الحنيف - قد رفعت الاثم عن الناسي كما رفعته عن الخطأ والاكراه .

فاذا أكل الصائم أو شرب ، وهو ناس فلا إثم عليه ، وصومه نافذ صحيح ولا قضاء عليه . ولو أكل حتى الامتلاء فلا بأس عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فانما الله اطعمه وسقاه » رواه الجماعة إلا النسائي .

وفي لفظ : (إذا أكل الصائم ناسياً ، أو شرب ناسياً ، فانما هو رزق ساقه الله اليه ، ولا قضاء عليه) رواه الدارقطني؟

وفي لفظ : (من أفطر يوماً من رمضان ناسياً فلا قضاء

عليه ولا كفارة .

ويؤيد هذا ما أخرجه الامام احمد عن أم اسحق انها كانت عند النبي (ص) : (فَأُتِيَ بقصعة من ثريد فأكلت معه ثم تذكرت أنها صائمة فقال لها ذو اليدين : الآن بعدما شبعت ؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم . أتمي صومك فانما هو رزق ساقه الله اليك) .

قال الحافظ في الفتح : وفي هذا رد على من فرَّق بين قليل الأكل وكثيره .

قال : ومن المستطرفات ما رواه عبدالرزاق عن أبي جريج عن عمرو بن دينار أن انساناً جاءالى أبي هريرة فقال : اصبحت صائماً فنسيت فطعمت ، قال : لا بأس ، قال : ثم دخلت على انسان فنسيت فطعمت وشربت ، قال : لا بأس ، ألله أطعمك وسقاك ، ثم قال : دخلت على آخر فنسيت فطعمت ، قال أبو هريرة : انت انسان لم تتعود الصيام .

وهكذا الشريعة الاسلامية في يسرها وسماحها . فالنسيان

لما كان ليس من كسب القلب ، فالله تبارك وتعالى لا يؤاخذنا عليه . قال : (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) .

من أصبح جنباً وهو صائم

من أصبح جنباً في رمضان وهو صائم فصومه صحيح ، إذ ليست الجنابة شرطاً من شروط الصيام . فلو نام الصائم في النهار ، ثم احتلم في نومه ، فانه يجب عليه الغسل ، ولا يفسد صومه بهذا الاحتلام .

والذي يصبح في جنابة سواء من مباشرة أهله ، أو من احتلام فصومه لا يفسد ، ولكن الافضل والاحوط لمثل هذا أن يغتسل قبل الفجر .

وخاصة أمر الصلاة العظيم الذي يحتم عليه الاغتسال ، إذ كيف يسوغ لمسلم وهو صائم أن يترك صلاة الفجر ، التي جعلت ركعتا السنة فيها خير من الدنيا وما فيها .

ولقد بينت أمر الذين يصومون ولا يصلون في الصفحات

الأولى من هذا الكتاب لذا لا أطيل في الكلام هنا عليهم .

في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها ، أن رجلاً قال : يا رسول الله ، تدركني الصلاة وأنا جُنُبٌ أفأصوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم ، فقال : لست مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : (والله اني لأرجو أن اكون اخشاكم لله وأعلمكم بما اتقى) رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

كفارة من أفسد صوم رمضان بمباشرة أهله

لقد سبق وبينا أن الذي يفسد الصوم ويبطله إنما هو الأكل والشرب ، وغشيان النساء .

وفي هذا نبين حكم من غلبته نفسه فأتى أهله وهو صائم ، ولا شك أن هذا قد خالف أمر ربه وأفسد صومه بهذا العمل، فتجب عليه الكفارة ليصلح ما أفسد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (جاء رجل الى النبي (ص) فقال : هلكت يا رسول الله . قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على إمرأتي في رمضان ، قال : هل تجد ما تعتق رقبة ؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً ؟ قال : لا ، قال : ثم جلس . فأُتِيَ النبي (ص) بعرق[1] فيه تمر ، قال : تصدق بهذا ، قال : فهل على افقر منا فما بين لابتيها[2] اهل بيت احوج اليه منا ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه[3] ، وقال : اذهب فاطعمه اهلك) رواه الجماعة .

---

(١) العرق : بسكون الراء . زنبيل ضخم يسع خمسة عشر صاعاً ، والصاع أربع حفنات بحفنة الرجل المتوسط على الصحيح .

(٢) اللابة : الارض ذات الحجارة السوداء الكثيرة وهي : الحرة . ولابتا المدينة حرتاها من جانبيها . أي لا يوجد في المدينـــة أهل بيت أحوج الى هذه الصدقة منا .

(٣) حتى بدت نواجذه : اي أنيابه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قل مايضحك الى أن تبدو نواجذه . وأكثر ضحكه كان تبسماً .

وهكذا تيسير الاسلام على الناس ورحمته بالضعفاء ، ففي هذا الحديث أروع مثل لعظمة هذا الدين وصاحبه الذي حمل الرسالة السماوية الخالدة صلوات الله وسلامه عليه .

فالاسلام لم يأت لتعذيب الناس ، والتكاليف لم تفرض لتكون عبئاً ثقيلاً ينوء بحمله المسلمون .

إنما جاءت هذه الشريعة لتسعد الناس وتخفف عنهم ويلات الحياة ، وتجعلهم في اطمئنان دائم على حالهم ومآلهم .

وهذه الكفارة على المستطيع لها ليست بثقيلة بالنسبة الى ما ارتكب هذا المسلم الذي افطر في رمضان متعمداً بغير عذر شرعي وبعمله هذا قد خالف أمر ربه وعصاه ، فاذا طلب المغفرة لم يغلها هذا الثمن . مع العلم ان فطر يوم من رمضان بغير عذر لم يقضه عنه صوم الدهر كله وإن صامه .

ولكن الاسلام رحمة بالناس جعل هذه الكفارة ، عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ستين مسكيناً .

أخرج أصحاب السنن الأربعة وصححه ابن خزيمة عن

أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولامرض لم يقض عنه صوم الدهر كله) .

فوائد متنوعة

١ ـ اذا كان في الانسان (ضغط الدم) مثلاً واحتاج الى الحجامة لأخذ الدم وهو صائم فانها تكره له ، خاصة اذا كانت الحجامة تضعفه كثيراً حتى تحوجه الى الافطار فانها تزداد كراهتها التحريمية .

أما إذا وجد في نفسه القوة ولم تؤثر عليه الحجامة بشيء فلا بأس عليه إذا احتجم ولا يفسد صومه بها في هذه الحالة .

٢ ـ يجوز للصائم أن يتمضمض بالماء ويستنشق على أن لا يبالغ في المضمضة والاستنشاق .

وتكون المضمضة لقربة دينية كالوضوء او الاغتسال ، لا لمجرد التبريد ، فانها تكره ، إن لم تكن لغرض ديني .

واذا دخل من ماء المضمضة شيء في الجوف خطأ فقد قال الامام أحمد بن حنبل واسحق والاوزاعي والناصر والامام يحيى وأصحاب الشافعي انه لا يفسد الصوم لأنه يعتبر كالناسي، أما الحنفية والامام مالك والشافعي في أحد قوليه والمزني فقد قالوا بفساد صومه. وقال زيد بن علي: يفسد الصوم اذا كررها ثلاث مرات.

وقال الصادق يفسد اذا كان التمضمض لغير قربة.

ويجوز للصائم أن يستحم ويغسل رأسه وجسمه كله بالماء لغرض التبريد والتخفيف من وطأة الحر.

فقد ورد عن أبي بكر بن عبدالرحمن عن رجل من أصحاب النبي (ص) قال: (رأيت النبي (ص) يصب الماء على رأسه من الحر وهو صائم) رواه احمد وابو داود.

٣ – يجوز للرجل المتزوج ان يقبل زوجته وهو صائم ولا يفسد صومه بالقبلة ولا بغيرها اذا ملك نفسه وضبطها.

عن عمرو بن أبي سلمة انه سأل رسول الله صلى الله عليه

وسلم : (أيقبـِّل الصائم ؟ فقال له : سل هذه ، لأم سلمة ، فأخبرته ان رسول الله (ص) يفعل ذلك ، فقال يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال له أما والله اني لأتقاكم لله واخشاكم له) رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم فرخص له ، وأتاه آخر فنهاه عنها فاذا الذي رخص له شيخ ، واذا الذي نهاه شاب . (رواه ابو داود) .

٤ ــ رخص بعض أهل العلم في الكحل للصائم وهو قول الشافعي ، وهو قول الحنفية ايضاً . وروى ابوداود في سننه باسناده عن الأعمش قال : ما رأيت احداً من اصحابنا يكره التكحل للصائم .

ومن كره الكحل لم يستند الى دليل قوي . فالراجح هو القول بالجواز من غير كراهة . والله تعالى اعلم .

قال الترمذي لايصح في هــذا الباب شيء . يعني لا اثباتاً ولا نفياً ، فيكون الكحل ونحوه ، كالقطرة والدهن في

العين لمداواتها، من سكت عنه الله ورسوله، فيكون حكمه الاباحة جرياً على قواعد الاصول الصحيحة المطابقة للحديث : (ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم — غير نسيان — فلا تبحثوا عنها) رواه الدار قطني وغيره

٥ — وعملاً بهذا الحديث، فان الحقن بالابرة للتداوي وشم الروائح الطيبة ، ودهن الرأس ، وكحل العين وتداويها ، — كما ذكرت — لا تؤثر على الصوم.

فالله سبحانه وتعالى قد بين المفطرات في كلمات قليلة في كتابه العزيز. قال تعالى : (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل)

فالاكل والشرب وغشيان النساء من المفطرات المنصوص عليها بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما عدا ذلك لا يقبل إلا إذا ورد بشأنه دليل يحرمه، فان الاصل في الاشياء الاباحة مالم يرد دليل بضدها. والله تعالى أعلم بالصواب،

الصيام عند سكان القطبين

الشمالي والجنوبي

لقد قلت عند كلامي في هلال رمضان: ان احكام الاسلام عامة خالدة ، تصلح لكل زمان ومكان، وأن هذا الشمول في هذه الأحكام دليل عظمتها، وأنها من صنع مبدع الكون وخالق الخلق أجمعين جلت عظمته وتباركت أسماؤه .

ولعل الكثير من الناس يتساءلون عن احكام الاسلام بالنسبة لسكان القطبين، حيث لا مواقيت ولا شهور، إذ المدة التي يكون فيها سكان القطب الشمالي في ليل وهي نصف السنة يكون القطب الجنوبي في نهار وبالعكس .

وبياناً لهذه المسألة وددت أن أنقل ما جاء في تفسير المنار للعلامة المرحوم السيد محمد رشيد رضا حول هذه المسألة، وفيه

الشفاء والغناء . إذ قال عند تفسير قوله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي من حضر منكم دخول الشهر أو حلوله بأن لم يكن مسافراً فليصمه ، وإنما يكون ذلك في اكثر البلاد التي تتألف السنة فيها من اثني عشر شهراً .

وشهوده يكون فيها برؤية هلاله ، فعلى كل من رآه أو ثبتت عنده رؤية غيره له أن يصوم . واذا لم يره أحد في الليلة الثلاثين من شعبان وجب صيام يومها ، وكان أول رمضان ما بعده . والأحاديث في هذا ثابتة في الصحاح والسنن ، وجرى عليها العمل من الصدر الأول الى اليوم ، وقال بعض المفسرين : ان المراد بالشهر هنا الهلال ، وكانت العرب تعبرّ عن الهلال بالشهر . ويرده أنهم لا يقولون : شهد الهلال ، وإنما يقولون رآه . ومعنى شهدَ حضر ، وقال بعضهم ان المعنى : فمن كان حاضراً منكم حلول الشهر فليصمه .

قال الأستاذ الامام ، يعني محمد عبده رحمه الله : وإنما عبر (فليصمه) ولم يقل (فصوموه) لمثل الحكمة التي لم يحدد القرآن مواقيت الصلاة لأجلها ، وذلك أن القرآن خطاب الله

العام بجميع البشر وهو يعلم أن من المواقع ما لا شهور فيها ولا أيام معتدلة ، بل السنة كلها قد تكون فيها يوماً وليلة تقريباً كالجهات القطبية ، فالمدة التي يكون فيها القطب الشمالي في ليل وهي نصف السنة يكون القطب الجنوبي في نهار وبالعكس ، ويقصر الليل والنهار ويطولان على نسبة القرب والبعد من القطبين ويستويان في خط الاستواء وهو وسط الأرض .

أرأيت هل يكلف الله تعالى من يقيم في جهة القطبين وما يقرب منهما أن يصلي في يومه (وهو سنة أو مقدار عدة شهور) خمس صلوات احداها حين يطلع الفجر والثانية بعد زوال الشهر الخ .

ويكلفه أن يصوم شهر رمضان بالتعيين ولا رمضان له ولا شهور ؟

كلا إن من الآيات الكبرى على أن هذا القرآن من عندالله المحيط علمه بكل شيء لا من تأليف البشر ، ما نراه من الاكتفاء بالخطاب العام الذي لا يتقيد بزمان من جاء به ولا

مكانه ولو كان من عند النبي صلى الله عليه وسلم لكان كل مافيه مناسباً لحال زمانه وبلاده وما يليها من البلاد التي يعرفها ، ولم تكن العرب تعرف أن في الارض بلاداً نهارها أنهر أو أشهر من أنهرنا وأشهرنا ، ولياليها كذلك .

فمنزل القرآن وهو علام الغيوب وخالق الأرض والأفلاك خاطب الناس كافة بما يمكن أن يمتثلوه، فأطلق الأمر بالصلاة. والرسول بينَّ أوقاتها بما يناسب حال البلاد المعتدلة التي هي القسم الأعظم من الارض ، حتى إذا وصل الاسلام الى أهل البلاد التي أشرنا اليها يمكنهم أن يقدروا للصلوات باجتهادهم والقياس على ما بينه النـــبي صلى الله عليه وسلم من أمر الله المطلق ، وكذلك الصيام ما أوجب رمضان إلا على من شهد الشهر وحضره، والذين ليس لهم شهر مثله يسهل عليهم أن يقدروا له قدره .

وقد ذكر الفقهاء مسألة التقدير بعدما عرفوا بعض البلاد التي يطول ليلها ويقصر نهارها والبلاد التي يطول نهارهـــا ويقصر ليلهـــا .

واختلفوا في التقدير على أي البلاد يكون ؟

فقيل على البلاد المعتدلة التي وقع فيهـــا التشريع كمكة والمدينة .

وقيل على أقرب بلاد معتدلة اليهم . وكل منهم جائز فانه اجتهادي لا نص فيه. انتهى كلام تفسير المنار ج١ ص١٦٢ .

فسكان القطبين يصومون بتقدير الساعات، كأن يقدرون اثنتي عشرة ساعة للنهار فيمتنعون عن الأكل والشرب وغشيان النساء فيها ، حتى تنقضي ثم يفطرون ، وهكذا حتى تنقضي ثلاثون مرة أو تسع وعشرون ، ففي سنة يصومون ثلاثين والأخرى تسعاً وعشرين ، إذ هلال رمضان يتردد بين الثلاثين والتسع والعشرين . وهكذا حالهم في الصلاة يصلون الصلوات الخمس على حسب التقدير بالساعات والله أعلم بالصواب .

صوم التطوع

المسلمون الأولون الذين رضي الله عنهم وأرضاهم أولئك الذين خالط الايمان بشاشة قلوبهم فنورها وأضاءها ، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون، وكانوا إذا تليت عليهم آيات الرحمن زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون .

وكانوا لا يكتفون باقامة الفرائض وحدها بل كانوا في الليل ساجدين خاشعين ، وفي النهار صائمين عابدين ، يبيتون على الطوى ، وأعينهم تفيض بالدمع أملاً في رحمة الله ، وخوفاً من أليم عذابه، فكأن النار لم تخلق إلا لهم ، لذلك فقد عملوا ما يقربهم الى الجنة ، ويباعد بينهم وبين النار ، فكانوا من أهل الجنة، وسعدوا في الدنيا والآخرة، وبنوا لنا ذلك المجد الشامخ .

ومسلمو اليوم أضاعوا ما بنى أولئك الامجاد الأماثل ، فضاعوا هم الآخرون . وليت مسلمي اليوم يقومون بالفرائض فقط إذن لسعدوا وعزوا ، ولكنهم تركوا كل شيء فهانوا على الله ، وهانوا على الناس ، وهانوا حتى على أنفسهم ، اني مع هذا الذي أقوله فانني أعتقد أنه ما زال هنالك طائفة ظاهرة على الحق ، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها ، فهي تقوم بالواجبات وتتحرى القربات فتتطوع وتتبرع بالعمل الصالح وتفعل الخير والله معها يؤيدها وينصرها . ولهؤلاء وددت أن أذكر أيام التطوع بالصيام التي وردت على لسان سيد الأنام . وقد كان صلى الله عليه وسلم يصومها ويحافظ عليها ، ولقد وُصِفَ صلى الله عليه وسلم بأنه كان يصوم حتى يظن انه سوف لايفطر ، ويفطر حتى يظن أنه سوف لايصوم .

وحباً في الاختصار سأنقل الأحاديث الصحيحة الواردة في أيام التطوع فقط لعل الله ينفعنا بها فنتحراها لنصومها لله :

١ ــ عن أبي ايوب عن رسول الله (ص) قال : من صام رمضان ، ثم اتبعه ستاً من شوال ، فذاك صيام الدهر .

رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي .

٢ — عن حفصة رضي الله عنها قالت : أربع لم يكن يَدَعُهُنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : صيام عاشوراء والعشر وثلاثة أيام من كل شهر ، والركعتين قبل الغداة . (رواه احمد والنسائي) .

٣ — عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية ، وكان رسول الله صلى عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه ، فلما فرض رمضان قال : « من شاء صامه ومن شاء تركه » .

٤ — عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لم يكن النبي (ص) يصوم اكثر من شعبان ، فانه كان يصومه كله » . وفي لفظ « ما كان يصوم في شهر ما كان يصوم في شعبان ، كان يصومه إلا قليلاً ، بل كان يصومه كله » .

٥ — عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي (ص) كان يتحرى صيام الاثنين والخميس . (رواه الخمسة إلا ابا داود) .

(٩)

٦ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) «من صام من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صيام الدهر، فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) اليوم بعشرة» رواه ابن ماجه والترمذي.

٧ ـ عن أبي سعيد قال: «قال رسول الله (ص) من صام يوماً في سبيل الله [١] بعّدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفاً». (رواه الجماعة إلا أبا داود).

---

(١) أي في حالة الغزو والجهاد في سبيل الله. قال النووي: وهو محمول على من لا يتضرر به. ولا يفوت به حقاً ولا يختل قتاله ولا غيره من مهمات الغزو.

أيام يكره الصيام فيها

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي (ص) قال : «لا تصوموا يوم الجمعة وحده». وعن جويرية رضي الله عنها : أن رسول الله (ص) دخل عليها في يوم الجمعة وهي صائمة فقال : أصمت أمس ؟ قالت : لا ، قال : تصومين غداً ؟ قالت : لا ، قال : فافطري . (رواه أحمد والبخاري) .

٢ ـ عن عبدالله بن بسر عن أخته واسمها الصماء : أن رسول الله (ص) قال : «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم، فان لم يجد أحدكم إلا عود عنب ، أو لحاء شجرة فليمضغه». (رواه الخمسة إلا النسائي) .

٣ ـ عن أبي موسى عن النبي (ص) قال : «من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا» وقبض كفه . (رواه احمد).

وقيل ويحمل هذا على من صام الأيام المنهي عنها .

٤ — عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « لا يَتَقَدَّمَنَّ أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صوماً فليصمه » . (رواه الجماعة).

٥ — عن أنس رضي الله عنه قال : ان النبي (ص) نهى عن صوم خمسة أيام في السنة : يوم الفطر ، ويوم النحر ، وثلاثة أيام التشريق [١]. (رواه الدارقطني) .

٦ — عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام وهي أيام أكل وشرب » (رواه الخمسة إلا ابن ماجه) .

٧ — عن رجل من باهلة ، وقيل اسمه عبد الله بن الحارث

---

(١) ايام التشريق ، هي ايام عيد الأضحى المبارك ، وسميت ايام التشريق : لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها ، أي تنتشر في الشمس.

قال : أتيت النبي (ص) فقلت : يا رسول الله أنا الرجل الذي أتيتك عام الأول ، فقال : فما لي أرى جسمك ناحلاً ؟ قال: يا رسول الله ما أكلت طعاماً بالنهار ما أكلته إلا بالليل، قال : من أمرك أن تعذب نفسك ؟ قلت : يا رسول الله اني أقوى ، قال : صم شهر الصبر « رمضان » ويوماً بعده ، قلت : إني أقوى ، قال : صم شهر الصبر ويومين بعده، قلت : إني أقوى ، قال : صم شهر الصبر وثلاثة أيام بعده، وصم أشهر الحرم . (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه) .

ليلة القدر

في ليلة مباركة منيرة، شرّف الله نبيه، وعظّمه بالرسالة، وأعلى منزلته ، وارتفع بالانسانية من الحضيض ، إلى حيث النور والهدى ، وأنقذها من ظلمات الجهل والوثنية ، إلى سبيل العلم والتوحيد . في هذه الليلة بزغت أول شعلة إلهية فوق الكرة الأرضية ، فأضاءت أرجاءها ، وزلزلت أركانها ، وأبادت ظلمات العصبية وآفاتها، في هذه الليلة تنزلت الملائكة من عالمها الروحاني الذي لا يحدّه حد ولا يحيط به مقدار .

وفي هذه الليلة المباركة نزل انى هذا العالم ، أول آية من كتاب الله العزيز ، الذي جمع خير الانسانية ، وما تحتاجه البشرية الضالة التائهة ، في دينها ودنياها ، وفي هذه الليلة المباركة ، تجلت القدرة الإلهية ، لأكمل نفس انسانية ، لتتحملها أقدس رسالة سماوية ، فكان هذا الوحي في هذه

الليلة بمنزلة قارعة هزت عروش الملوك ، وزلزلت قواعد سلطان الظلم والجبروت .

وكانت ليلة القدر — بحق — خيراً من ألف شهر ، إذ أنها ليلة نور وهدى ، فهي خير من دهور تمضي في ضلال وظلام ، وليست قيمة الأيام بساعاتها وإنما قيمة الأوقات بما يحدث فيها من خير للبشر ، وسعادة للنفوس ، قال تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزّلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلامٌ هي حتى مطلع الفجر) .

قال الزمخشري في الكشاف عند تفسير قوله تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر) ان سبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية هو ما يوجد فيها من المصالح الدينية : من تفصيل كل أمر حكيم وتبيين الطرف المستقيم .

والجمهور على أن هذه الليلة مختصة برمضان لقوله تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) . وقوله عز وجل : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) .

فتعين كونها برمضان . وقد اختلفت الروايات في تعيينها وأرجحها أنها في العشر الأواخر من رمضان . وفي الأوتار من تلك العشر .

أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان (فتكون في ليلة الواحد والعشرين ، أو الثالث والعشرين ، أو الخامس والعشرين ، او السابع والعشرين ، أو التاسع والعشرين . وقد غلب الظن على أنها في ليلة السابع والعشرين .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالاً من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : (أروا ليلة القدر في السبع الاواخر ، فقال رسول الله (ص) أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحرياً ، فليتحرها في السبع الأواخر) . أخرجه البخاري ومسلم .

ولمسلم قال : أري رجل ان ليلة القدر ليلة سبع وعشرين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أرى رؤياكم في العشر

الأواخر فاطلبوها في الوتر منها) .

وفي إخفاء هذه الليلة سر من أسرار الشريعة الاسلامية الغراء. يقول الفخر الرازي في تفسيره . (واخفاها تعالى كما أخفى سائر الاشياء فانه اخفى رضاه في الطاعات حتى يرغب عباده في الكل، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل، وأخفى الاجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات ، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان ، فان العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر أي ليلة هي ، فانه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان على رجاء انه ربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر.

فعلى المسلم أن يحيي ذكرى هذه الليلة المباركة بالعبادة والخشوع والخضوع وشكر الله على نعمة الاسلام التي ما بعدها نعمة :

ومثل هذه الليلة تحيي القلوب ، وتذكي الاخلاص، وتحث على التوبة والرجوع الى الله في التمسك بدينه القويم، والتأدب بأوامره، والكف عن نواهيه ، والاستنارة بنور سيد المرسلين الذي أعلى الله قدره ، وشرّفه في مثل هذه الليلة المباركة ،

وجعل رسالته خاتمة الرسالات كما جعله صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء والمرسلين .

في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه » (رواه الجماعة إلا ابن ماجه).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولي: (اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العفو فاعف عني) رواه الترمذي وصححه أحمد وابن ماجه .

وللانسان ان يدعو بما شاء في هذه الليلة المباركة التي يُفرَقُ فيها كل أمر حكيم ، والدعاء فيها مستجاب من رب العزة الذي يتجلى على عباده ، ليسمع الى تضرعاتهم ودعواتهم التي تنبعث من قلوبهم الطاهرة التي سهرت وعافت الكرى في سبيل مناجاة ربها العزيز الجبار ، فسجدت جباههم، ودمعت اعينهم ، وخشعت اصواتهم وصفت نفوسهم ، واضاءت قلوبهم بهذه المناجاة في هذه الليلة المعظمة التي نسأل الله ان

يجعلنا ممن يقدر لهذه الليلة قدرها فنؤدي حقها ، ونقوم بواجبها ، لنحظى برضا المولى الكريم الذي هو جل مبتغانا ، وكل رجائنا . اللهم حقق لنا هذا الرجاء . وبلغنا مقاصدنا في إعلاء شأن ديننا ، وانصرنا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الاشهاد ، إنك نعم المولى ونعم النصير.

أهم الاحداث التاريخية

الواقعة في رمضان

وددت أن أذكر بعض الاحداث التاريخية المهمة ليذكرها المسلمون كلما هل بينهم رمضان، ضيفاً كريماً وشهراً مباركاً :

١ ـ الحادث الاكبر الذي غير مجرى التاريخ العالمي : ورفع الانسانية من الحضيض ، انزال القرآن العظيم وبعث محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الله الخالدة ، وكان هذا في رمضان المبارك « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

٢ ـ ومن الحوادث الخطيرة التي كانت مبدأ نصر الدعوة الاسلامية هي : غزوة بدر الكبرى ، وقد وقعت في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه ، وكانت في السنة الثانية.

للهجرة .

٣ ـ وفي السنة الثامنة للهجرة أتم الله نعمته على رسوله وعلى المؤمنين بفتح مكة المكرمة ، وكان ذلك في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان ، فصارت مكة دار اسلام بعد أن كانت معقل الشرك والمشركين .

وقد ذكر الله هذا الفتح المبين في سورة من القرآن ، هي سورة الفتح ، قال تعالى : (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيراً) .

٤ ـ وحدث في هذا الشهر المأساة الكبرى وهي قتل بطل الاسلام الامام علي كرّم الله وجهه .

فقد قتل غيلة عند خروجه لصلاة الصبح في ليلة الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان ، ومات رضي الله عنه متأثراً من جراحه ليلة الاحد السابع عشر من شهر رمضان في السنة الاربعين من الهجرة . إنا لله وإنا اليه راجعون .

أكتفي بهذه الحوادث، ففيها العبرة والعظة، وأسأل الله أن يجعل في هذا الشهر بداية يقظة وعزمة لنهضة دينية مباركة، تكون يد الله فوق أيدي العاملين لها بإخلاص وثبات، والله من وراء القصد وهو على كل شيء قدير .



زكاة الفطر

يحل شهر رمضان كل عام ، ليكون موسماً للخير ومغنماً للأجر والثواب ، ومبرة بالفقراء ، وميداناً للطاعات والقربات .

يغتنمه الغني لينفق من ماله في سبيل الله ، في شهر الله المعظم ، وينتظره الفقير ليسد حاجته ويفرج عن نفسه فيه . فأوله مغدق وآخره مثمر . وجعل آخره عيداً للاغنياء والفقراء على حد سواء ، فهو شهر الخير وختامه مسك .

وقد أوجب الاسلام على المسلم إذا أفطر آخر يوم في رمضان زكاة الفطر ، يخرجها الرجل من ماله عن نفسه وولده وأهله ، وفرضها الاسلام لحكمة سامية وغاية نبيلة .

فهي طهرة للصائم من اللغو والرفث ومما عسى أن يكون

قد أتى به من صغار الذنوب .

وهي طعمة للفقراء والمساكين في يوم فرح وسرور ، ليكون الفرح عاماً والسرور شاملاً ، فهي بمثابة « عيدية » لهؤلاء المساكين وأولادهم ليفرحوا بها وتزول عنهم وحشة الفقر وآلامه في يوم تعم فيه الافراح ، وتنشرح الصدور .

روى أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (فرضت صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين ، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات) .

وفرضت هذه الزكاة في السنة الثانية للهجرة ، وهي السنة التي فرض فيها صوم رمضان ، فهي ملازمة للصوم . واتفق الأئمة المجتهدون على أن زكاة الفطر واجبة على كل مسلم قادر على ادائها عن نفسه ، وعن كل من تلزمه نفقتهم من أولاده الصغار والكبار العاجزين عن الكسب ، وزوجته وخدمه ، واستدلوا على وجوبها بالحديث الصحيح الذي اتفق على روايته أصحاب السنن الستة عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال :

« فرض رسول الله (ص) زكاة الفطر من رمضان ، صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير ، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين » وأفضل أوقات أداء هذه الزكاة هو صباح يوم أول العيد ، قبل الخروج للصلاة ، وإذا علم المسلم انه لا يتمكن من أدائها في مثل هذا الوقت فله ان يخرجها قبل ذلك .

(ففي مذهب المالكية يجوز اخراجها قبل العيد بيومين لا أكثر .

وفي مذهب الشافعية يجوز تعجيلها من أول يوم من رمضان ويحرم تأخيرها عن يوم العيد إلا لعذر .

وعند الحنفية يجوز إخراجها قبل يوم العيد وبعده) نقلها الشيخ عبدالوهاب خلاف رحمه الله .

فعلى رب الاسرة ان يحصي عدد أفراد اسرته ، الذين يعولهم وينفق عليهم ، ويخرج زكاة الفطر عن نفسه وعنهم جميعاً . فكل من وجب على المرء نفقته ، وجبت عليه زكاة فطره.

والقادر على ادائها هو كل من قدر على ادائها مما زاد عن حاجته وحاجة عياله ، والمرء يستفت قلبه ويعلم حاله وماله . فهو الحري بأن يقدر ظرفه وحاله المالي، وصاحب الدين يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة . ومقدار الواجب فيها إنما هو صاع من القوت الغالب في البلد الذي يسكنه الانسان سواء كان قمحاً أو ذرة ، أو شعيراً ، أو تمراً ، أو رزاً ، أو دقيقاً ، آو زبيباً ، وقد حصل بعض الخلاف في هذه المسألة ، وأساسه ما رواه أصحاب السنن الستة عن أبي سعيد الخدري قال : (كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله ، صاعاً من طعام أو صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير ، أو صاعاً من زبيب ، أو صاعاً من اقط [1] فلم نزل كذلك حتى قدم علينا معاوية المدينة فقال : (انني لأرى مدين من سمراء الشام ، يعدل صاعاً من تمر ، فأخذ الناس بذلك . قال ابو سعيد : فلا

---

(١) الاقط : بفتح الهمزة وكسر القاف ، اللبن اليابس المجفف ، الذي لا تنزع عنه زبدته .

أزال اخرجه كما كنت اخرجه) .

ويقدر الصاع بكيلوين وما يقرب من نصف الكيلو بالوزن الحديث. والافضل أداؤها عيناً كما وردت في الحديث الشريف.

ويجوز أداء قيمة الواجب، لأن دفع القيمة قد يكون أنفع للفقير ، فيعطى نقداً بدل الحبوب أو التمر.

ويفضل الاقارب على غيرهم في توزيعها ، فالاقربون أولى بالمعروف ، ثم الجيران ، ثم أهل البلد .

ويجوز اعطاؤها لفرد واحد ، ولكن الأفضل تفريقها على ثلاثة فأكثر إلا إذا كانت قليلة تضعف قيمتها بالتفريق فانها حينذاك تعطى لواحد .

* * *

فاذا انتهى رمضان وغربت شمس آخر يوم منه فقد حل شهر شوال، وفي صبيحة شوال يستقبل المسلمون عيد الفطر ، وبصلاة ركعتي العيد عند شروق شمس ذلك اليوم المشرق

بالبهجة والسرور . وبانتهاء ركعتي الصلاة في اليوم الأول من عيد الفطر تنتهي آخر مظاهر رمضان وتذهب ذكريات لياليه المبدرة المشرقة بالأنوار الالهية ، وتتلاشى معانيها السحرية ومعاني ذلك الشهر الجليل في اصداء دعوات المصلين التي يرددونها في مساجد الله من قلوب تطفح بالايمان :

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله الا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد

بهذا تم الكتاب

وفي الختام

أسأل الله العلي الكبير ، أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعل من رمضان هذا فاتحة عهد جديد للاسلام الخالد ، وأن يلهم المسلمين رشدهم ، ويعيدهم الى صوابهم والى سيرتهم الأولى ، ويحبب اليهم دينهم ، ويهديهم الى سواء السبيل ، ويجعلنا وايــاهم من الذين رضي الله عنهــم فأعزهم ، ونصرهم ، وآواهم ، ورعاهم ، وأن يعيد على العالم الاسلامي هذا الشهر المبارك والمسلمون يرفلون في حلل الحرية ، والعزة ، والكرامة ، والنصر ، والايمان. والله حسبنا ونعم الوكيل .

فرغت من تأليفه ليلة الأثنين ٢٠ شعبان سنة ١٣٦٩ هـ

بغداد محمد محمود الصواف

الطبعة الرابعة : ربيع الأول سنة ١٣٨٤
١٨ تموز سنة ١٩٦٤

فهرست كتاب (الصيام في الاسلام)

رقم الإيداع ٢٠٥٤ – ١٩٧٨

